تاريخ عائلة آل عراجي

أعد هذا التراث ودوّنه وحفظه

الفقير لله تعالى إبراهيم فواز عراجي

وذلك غرة رمضان ا بارك /1421/هـ ا وافق لـ 27 تشرين الثا 2000م

مقدمة

منذ أن خلق ا   الكون وبسط فيه الأرض وجعلها متاعاً ومستقراً للإنسان، وسخّر كل ما فيها لصالح البشر، مصداقاً لقوله تعالى في سورة النازعات الآية 30-33 *والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم*.

من هنا كانت حكاية الإنسان مع الزمن، أمم تتلوها أمم، وأجيال تعقبها أجيال، شعوب سادت وكان لها شأن في الزمن الغابر ثم بادت فانتهت أثارها المادية، ولكنها باقية نتحدث عنها كل يوم، حتى أن الإنسان الأول نعرف عنه الكثير ونتعرف كل يوم إلى شيء جديد عنه، متى عاش وكيف عاش، كيف كانت مقوماته الحياتية ومتى انتهى وماذا خلّف وراءه، وكذلك الأمم وكذلك الشعوب كما قلنا وكذلك الدول والأمبراطوريات فقد صدق فيها قول ا   تعالى في سورة آل عمران الآية 140 *وتلك الأيام نداولها بين الناس* فكل هذه الظواهر الإنسانية والحياتية مرت مع الزمن ولم تسجل لنا أو تنقل عبر الكاميرات أو شاشات التلفزيون، بل نقلت ودونت وحفظت عبر وسيط هام وراع أمين أصطلح على تسميته فيما بعد بـ "التاريخ".

إذن هذا هو "التاريخ" وإن جاز لنا أن نسميه تسمية تلامس وجه الحقيقة لسمّيناه "الأمانة"، وبالفعل هو أمانة غالية تناقلت إلينا عبر أقلام المؤرخين ورواية المحدثين وربما خالطها الزيف والتحريف أحيانا أو الكذب والبهتان أحياناً أخرى، لكن وبفضل الصالحين والمخلصين ومن هم أهل لحمل الأمانة وضعت معايير وضوابط هامة صفّت هذا التاريخ من شوائبه وأعادت إليه حقيقته وصفاءه، عن طريق التحقيق والتوثيق فظهر الصالح منه وبطل الطالح وخير مثال على ذلك ما ورد في القرآن الكريم وهو كلام ا   المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد *إنا عرضنا الأمانة علىالسموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً* سورة الأحزاب الآية 72.

ومن هنا كان لا بد لكاتب التاريخ أن يتحلّى بصفات كثيرة لعل أهمها وأعلاها وأسماها الأمانة والصدق في النقل والرواية، وهذا ما سأفعله مستعيناً با . وقد تتساءل الآن أيها القارئ الكريم، ما هي الدوافع التي جعلتني أنكبّ على كتابة تاريخ هذه العائلة، وفي هذا

الوقت بالذات، عائلتي التي انتمي إليها عائلة "آل عراجي" وللأمانة أقول: إن لهذا العمل هدفين:

الأول عائلي بحيث نستطيع أن نحافظ على تاريخ وتراث عائلتنا، حتى لا تضيع جهود سلفنا الصالح سدىً وبذلك نحفظ لأجيالنا القادمة من أجيال آل عراجي الفرصة الكافية للتعرف على ماضي أهله وجذوره وهي تتجاوز حدود لبنان إلى المنطقة العربية، لعله يأخذ منها المثل الصالح في الحسب والنسب ومكارم الأخلاق، ولا يخفى على أحد أن الأجيال الجديدة أخذت تبتعد عن المطالعة وحضور الندوات الإجتماعية والثقافية، التي شكلت روافد تربوية ومجالس ثقافية وأخلاقية في الزمن الماضي، والتي أخذت بالتلاشي حالياً بفعل الكمبيوتر والمرئيات والفضائيات وما إلى ذلك.

أما الهدف الثاني فهو إمكانية الإستفادة لأي طالب معرفة أو مهتم بتاريخ العائلات في مشرقنا العربي، علّه يجد في هذا التاريخ ضالته، وأن يستفيد من هذه المادة قدر المستطاع والآن أؤكد أنني حاولت قدر الإمكان توخي الدقة والموضوعية في سرد الوقائع التاريخية ودونته بكل تجرد، بعد أن بذلت كل جهدي حتى أحصل على أوثق المراجع سواء من المؤرخين القدامى الذين عاصروا تلك الحقبة، أو الشعراء أو الكتاب أو من الناس القلائل الذين لا يزالون على قيد الحياة من آل عراجي وسواهم، وقارنت أقوالهم مع أناس آخرين عاشوا تلك الفترة أيضاً، حتى جمعت ما استطعت من المعلومات التي يرويها كل شخص بأسلوبه الخاص، ولكنها لا تتناقض في جوهرها مع الروايات الأخرى.

ومن النافلة القول إني قمت بهذا الجهد متّكلاً على ا   وعلى نفسي كعربون وفاء لهذه العائلة، وليس بدافع الجري وراء أي كسب مادي أو معنوي، كما أؤكد أن هذا العمل ليس "عشائرياً" أو "مناطقياً" أو "تفاخرياً" بقدر ما هو محاولة لتعريف الأجيال القادمة من شبابنا وشاباتنا على هذا التراث والتاريخ الناصع لهؤلاء الجدود النُجُبْ والذي سيبقى ذكرهم موضع فخر واعتزاز على مدى الأيام.

ولا تفوتني الفرصة بأن أذكر أن هذا التاريخ ليس موجهاً ضد أحد ولا هو يلغي أو يستثني أحد، كما لا أدعي بأنه خالٍ من النواقص، وأكون شاكراً لمن يقرأ أو يقع بين يديه هذا السرد فيصحح ما فيه من خطأ، أو يلفت نظرنا إلى سهوٍ وقعنا فيه.

وأخيراً أختم هذه المقدمة بقول العماد الأصفهاني:

"إني رأيت أن لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان حسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على إستيلاء النقص على جملة البشر".

وا من وراء القصد.

المؤلف

إبراهيم فواز عراجي

تمّ الفراغ منه في غرة رمضان المبارك /1421/هـ الموافـق لـ ـ 27 تشـرين الثـاني /2000/م.

عائلة آل عراجي من العائلات العريقة جداً في تاريخ لبنان تسكن في بلـدة برياليـاس قضاء-زحلة في محافظة البقاع وتشكل ربع سكان هذ البلدة أي ما يزيد على 4000 نفس وقد انحدرت هذه العائلة من أصل عربي حيث يرجع نسب هذه العائلة إلى عرب "ولد علي" فـي بلاد الحجاز وهو بطن من بطون قبائل العرب الذي يشكل مع غيره ما يسمى فـي التـاريخ وحتى يومنا هذا "عرب العِنِزَة" (بكسر النون وفتح الزين) وهي من كبرى عرب الحجاز وقـد ثبت هذا النسب في قصائد ودواوين شعرية ومناظرات في الأنساب بين بطون عرب العنـزة ومنها ما هو محفوظ ومسجل على أشرطة كاسيت لدى كبار العائلة حيث مرّ ذكر هذه العائلة في هذه المناظرات الشعرية وذلك عبر رسائل متبادلة كانت تتم بـين مشـايخ هـذه العائلـة وأقربائها وأنسبائها في المملكة العربية السعودية ولا يزال 'يحتفظ بهذه الرسائل فـي سـجل العائلة المتضمن شجرة العائلة وانحدار نسبها من جعفر الطيار وهو فرع من فروع "ولد علي" ولا تزال عائلة الطيار حالياً من كبرى عشائر العرب في العربية السـعودية، ومـنهم اليـوم الأمير نواف ابن سلطان الطيار وقد زار برالياس مع أبيه أكثر من مرة وضاف في ضـيافة محمد قاسم عراجي وابراهيم محمد عراجي كما كان ينزل أهلهم ضيوفاً على قاسـم عراجـي سابقاً.

ويقول تاريخ العائلة أن ثلاثة من جدود هذه العائلة وهـم مـواس وخليـل وحمـود ويشكلون ثلاثة إخوة ينتمون إلى الجد الأساسي "عراجي" المنحدر بدوره من جعفر الطيار قـد ارتحلوا من بلاد الحجاز على عادة قبائل العرب منذ ما يزيد على ثلاثمائة سنة وذلـك طلبـاً للمرعى والكلأ وكانوا عرباً رحل ارتحلوا بمواشيهم وأنعامهم وبيوتهم المصنعة من الشـعر، وقد نزلوا على نبع ماء معروف في سوريا في منطقة الجولان وقد سمي هذا النبع بإسمهم ولا يزال يحمل هذا الإسم حتى تاريخنا الحاضر وهو نبع "عين عراجي" وقد حلـوا فـي منطقـة الجولان ضيوفاً على أمراء عرب الفاعور وعرب الفضل وتربط بينهم نسابة قرابة عشـائرية حيث ينحدر أمراء الفاعور وأمراء عرب الفضل وكانوا يتنادون بأبناء العـم ولاتـزال هـذه العلاقات قائمة ووطيدة حتى الآن. (توثقت هذه المعلومات جيداً فـي الموسـوعة التاريخيـة الكبرى لصاحبها المؤرخ الشهير عيسى اسكندر المعلوف والمخطوطة علـى جلـد الغـزال والموجود نسخة منها عند الشاعر رياض المعلوف في زحلة -مكتبته- كمـا يوجـد نسـخة محفوظة منها لدى الجامعة الأميركية في بيروت).

وكان من عادة عرب الفاعور في الجولان أنهم ينتقلـون ويرتحلـون مـن مـوطنهم الرئيسي في كل ربيع من كل سنة بإتجاه سهل البقاع في لبنان ومعهـم مواشـيهم وأنعـامهم فينزلون بجوار سهل برالياس على نبع ماء عرف بإسمهم وهو نبع الفاعور الذي يجري منـه نهر الفاعور الذي يخترق سهل برالياس من الشمال إلى الجنوب مع ما عرف عن هذا السهل من الخصب والسعة والتي تجاوز مساحته الآن ما يزيد على أربعة وأربعون ألف دونـم مـن الأراضي الزراعية ونبع الفاعور لا يزال قائماً حيث هو الآن بين سـهل براليـاس وجبيلـة كفرزبد وقد أصبح يعرف اليوم ببلدة الفاعور والتي يسكنها قسماً من عرب الحروك.

هذا وكان من عادة أمراء الفاعور أنهم يقضون ربيعاً وصيفاً كاملاً في سهل برالياس وعلى نبع الفاعور ثم يعودون مع مطلع الشتاء إلى الجولان، وهكذا اصطحب الأمير محمـد الفاعور ضيوفه من مشايخ العائلة المذكورين سابقاً بمواشيهم وحلالهم ليقضوا معه فترة الربيع والصيف في سهل البقاع. وكانت هذه أول إطلالة لمشايخ عائلة آل عراجي إلى هـذا السـهل حيث امضوا فيه الربيع والصيف مع أمراء الفاعور.

وقد حصل أن استحبت العائلة الإقامة في هذا السهل وأن تأخذ منـه موطنـاً دائمـاً وأعربوا عن رغبتهم للأمير محمد وعزمهم على البقاء وربما كان الدافع فـي هـذا التواجـد وجرياً على عادة العرب هو الإستقلالية العشائرية وعدم حصول التنافس العشائري مع عشيرة أخرى كعشيرة الفاعور والتي تربطهم بهم صلة القرابة والرحم، وهكذا عاد الأمير فاعور إلى الجولان وبقيت العائلة على نبع الفاعور واستمرت العلاقات بينهما حميمة وأخوية على مدى أجيال وحتى كتابة هذه السطور وبالرغم من إنتقال معظم أمراء الفاعور إلى العربية السعودية لا زالت هذه العلاقات قائمة والزيارات متبادلة وكذلك تبادل الرسـائل والبرقيـات وتطييـب الخاطر، وكان آخرها برقيات التعزية بالمرحوم المغفور له فوزي عراجي من أمراء الفاعور في العربية السعودية.

وهكذا توطد الأمر للعائلة وامتدت عبر هذا السهل الفسيح وشهادة للتاريخ فقد كان هذا السلف قوماً كراماً وأهلاً للشهامة والمروءة ومحبة الناس وشعارهم الكرم وبسط اليـد الـذي اشتهروا به حتى وصلت اخبار كرمهم كما سنرى فيما بعد أطراف الجزيرة العربية، وكـانوا من أصحاب الخيول الأصيلة والتي جاءت معهم من الحجاز ولهم رسن خاص من هذه الخيول وهو رسن "المعنقية" الذائع الشهرة قديماً وحديثاً حتى ،ضرب المثل فقيل "فلان وكأنه يركـب معنقية ابن عراجي" وذلك للتباهي والتفاخر ولا زالت العائلة تحتفظ بهذا الرسن من الخيـول

إلى جانب أصناف أخرى من الجياد الأصيلة حتى تخصص بها بعض مشايخ العائلة فجعلـوا منها مزارع لتربية الخيول وتأصيلها ومنها مزرعة الشيخ محمـود محمـد قاسـم عراجـي ومزرعة الشيخ المرحوم رفعت محمد قاسم عراجي وتضمّ كل واحدة مهما ما لا يقلّ عن مئة رأس من الخيول الأصيلة ولا تزالان قائمتان حتى كتابة هذه السطور.

وعودة إلى تاريخ العائلة فقد استثمروا سهل برالياس وتعاطوا الزراعة إضـافة إلـى تربية المواشي والخيول وامتدوا إلى بلدة برالياس حيث كان يسكنها بعض العائلات الصـغيرة وتداخلوا معهم وتعاونوا وإياهم على صنع تاريخ هذه البلدة وكان معظم أهالي البلدة يتخوفـون من إمتلاك الأراضي وتسجيلها بأسمائهم وذلك جرياً على مبدأ إن كان عندك أرض فلا شـك أن الدولة العثمانية ستأخذ أولادك وأبناءك إلى الجيش الإجباري، وكانت فرضية غير صحيحة بالطبع فرضتها بساطة الناس في حينه الأمر الذي دفع بالشيخ محمد عراجي أن فرض علـى الناس التملك لهذه الأراضي بالقوة وكان الإستملاك يـتم فقـط بتسـييج الأرض بالسـياجات الطبيعية وبوضع العلامات والحدود، والذي كان من نتيجته فيما بعـد أن أقـرت السـلطات الموجودة في حينه هذا المبدأ واحتفظ كل صاحب أرض بأرضه وتملّكها رسمياً ويروي الناس بعضهم عن بعض ويترحموا على الشيخ محمد عراجي لحسن تدبيره الذي خلا من أي طمع إذ أنه وإخوته جميعاً لم يخصصوا أنفسهم بأكثر من 5%من هذه الأراضي في الوقت الذي كـان يمكنه أن يسميها كلها على إسمه لما سنرى فيما بعد من توطيد سلطته وعلاقاته الطيبـة مـع المسؤولين والقيمين على الأمور في ذلك التاريخ، وقد سمعت بنفسي هذا الحديث أكثر من مرة ومن أفواه القديمين في هذه البلدة أمثال المرحوم الشيخ يوسف الحشيمي وغيرهم.

وهكذا تفاعلت هذه العائلة مع محيطها واتخذت من برالياس مقراً لهـا وتوافـد إليهـا الأمراء والشعّار من كل حدب وصوب، ومما يجدر ذكره أنه قد حصلت بعض المناوشات بين مشايخ العائلة وبعض أمراء المنطقة ومنهم بالتحديد أمراء الحرافشة وجرياً على عادة التنافس بين العائلات العشائرية فقد حصل سوء تفاهم لمرار كثيرة ويبدو أن أمراء الحرافشـة كـانوا يستفيدون من مساحة هذا السهل ووجدوا في وجود العائلة منافساً لهم وساد التوتر بينهم لفتـرة طويلة ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى علاقات ودّ واخوة بفضل تعقل مشايخ العائلة وحسن تدبيرهم وساد التفاهم مع أمراء الحرفوش وتآخوا معهم وكانوا يشـاركونهم فـي مناسـبات وميـدان الفروسية في سهل برالياس والذي كان يعقد من وقت لآخر.

هذا وقد انصرف مشايخ العائلة إلى أمور الزراعة زيادة على تربية الماشية والخيـول وكان لهذه الأخيرة دوراً كبيراً في حياتهم حتى أنه لم يخلو بيت واحد من بيـوت العائلـة إلا وفيه من خمسة إلى عشرة رؤوس من الجياد الأصيلة وقد ذكرها الشعراء في قصائدهم كمـا سنرى فيما بعد. إضافة إلى رمز آخر من رموز العشائر الأصيلة وهي القهوة المرّة والمنازيل الخاصة لهذه القهوة حيث كان يجتمع إليها الأهل والخلان والأصحاب من البلدة ومـن سـائر مناطق لبنان وقد تعداها إلى الأقطار المجاورة كسوريا والأردن والعراق وكان الناس يتوافدون إلى ديرة البقاع ليسألوا عن مضافة مشايخ آل عراجي ويمضوا فيها أياماً وليـالي بطوالهـا؛ ومنها العلاقات الطيبة كذلك بين قاسم عراجي وشيوخ الجزيرة العربية فـي سـوريا ومـنهم الشيخ عبد العزيز الملحم وكان متزوجاً من ابنة سلطان الطيار، أخت الأمير نواف ومن بعـد عبد العزيز أبناؤه تامر وطراد الملحم ولا تزال العلاقات معهم طيبة حتى هذا الجيل.

كما وأن علاقات العائلة مع السلطات التركية والفرنسية فيما بعد كانت جيـدة الأمـر الذي كان يؤدي إلى إقامة الحفلات التكريمية لهؤلاء المسؤولين من وقت لآخر وذبح الخرفان وإقامة الولائم على شرفهم حتى يصل عدد الخرفان المذبوحة أحياناً إلى ثلاثين وخمسين رأساً وتقديم الهدايا من الخيول الأصيلة وغير ذلك. الأمر الذي جعل كلمتهم مسـموعة لـدى هـذه المراجع ومما يذكر في هذا السياق أن الشيخ محمد عراجي أحد جدود العائلة ووالد الوجيـه الشيخ قاسم عراجي الذي طبقت شهرته أفاق الجزيرة العربية كانـت لـه أي للشـيخ محمـد عراجي علاقات ممتازة مع المسؤولين الأتراك أدت إلى منح العائلة لقب الأفندية وقد تسمى به الشيخ محمد عراجي واخوانه فيما بعد وهو لقب من الألقاب الكبيرة السامية التي كانت تمنحها الحكومة العثمانية مثل لقب المشيخة والبكاوية وغير ذلك وراحوا يتوارثون هذا اللقب أباً عـن جد حتى الوقت الحاضر.

ومما يجدر ذكره أن الشيخ محمد افندي عراجي قد عيّن في منصب سياسي هام فـي أيام العهد العثماني وهو منصب "حاكمدار" أي حاكم المنطقة أو مدير الناحية وقد تـولى هـذا المنصب في أعقاب خلاف له مع حاكمدار الشام والبقاع وكان مركزه في معلقة زحلـة وقـد استطاع محمد عراجي بعد توجهه إلى الشام بحصوله على كتاب بعزل حاكمـدار المعلقـة وتوليه هو شخصياً أعباء هذا المنصب الذي مكث فيه زمناً طويلاً ويقال أنه لم يكـن ينـاهز الثلاثين من عمره. ومما ترويه المرحومة امينة محمد عراجي شقيقة قاسم وابنة الشيخ محمـد عراجي وقد عمّرت أكثر من تسعين عاماً وكانت تروي أخبار والدها بدقة، وتروي أن والدها تنازع مع عشائر منطقة الهرمل -بعلبك في ذلك الزمن ودخل المحكمة على القاضي في سرايا

الهرمل، متأبطاً سيفه وهو يحمل أركيلته والدخان يتصاعد منها، فأثار هـذا الأمـر حفيظـة القاضي وهدده بالطرد من المحكمة فقال له بالحرف: أنا محمد أفنـدي عراجـي وإذا أسـأت الأدب معي فسأنقلك من على قوس هذه المحكمة، وسأنقل هذه المحكمة برمتها إلى المعلقة في زحلة وكانت المعلقة في حينه تتبع والي الشام، وبالفعل هذا ما حصل فتوجه الشيخ محمد ابـو قاسم عراجي الى الشام وكانت له علاقات ممتازة ومميزة مع الوالي وأرباب السلطة العثمانية وحتى مع السلطان عبد الحميد نفسه، وما هي إلا أشهر وقد تمّ له ما أراد، ونقلت السرايا كلها من الهرمل إلى معلقة زحلة، وشاع القول المأثور من حينه بين النـاس "أن هـدة (صـوت) حصان محمد عراجي سمعت في الهرمل لدى خروجه من برالياس". وكان ذلـك فـي عهـد الأمراء الحرافشة وعلى رأسهم الأمير سلمان الحرفوش المعروف.

أما كيف تسلسل جدود العائلة الأوائل فكان أن تخاف الجدود الأوائل **مـواس وخليـل وحمود** على الشكل التالي:

تخاف **مواس** بخليل وتخاف خليل بيوسف وتخاف يوسف بالإبنين محمد وعبدا ، أما عبـدا فتخاف بالأبناء الثلاثة: خليل وحسن ومصطفى، وتخاف محمد بالأبناء: إبراهيم ويوسف وسليم وقاسم وهذا الأخير -أي قاسم- ذو الصيت الذائع والشهرة الكبيرة التي بلغت أطراف الجزيرة العربية وسمع القاصي والداني بكرمه وضيافته ومجالسه الدائمة والتي وفـد إليهـا الأمـراء والشعار من كل حدب وصوب وفيه ‘نظمت القصائد والأشعار. ومنه كـان الأبنـاء: محمـد ومحمود وأحمد وسليمان وتركي. أما محمد فكان منه فواز وخالد وفـايز وفـوزي ومحمـود ورفعت. أما محمود فكان منه سليم، وأما أحمد فكانت منه فقط نديمة، وأما سليمان فكان منـه نواف، وأما تركي فكان منه قاسم وناشد وعلي.

أما باقي أشقاء قاسم وهم إبراهيم فقد تخاف بخليل وراشد وسعد الدين وزين العابدين وعلـي. أما يوسف فقد تخاف بإبراهيم وعبدو ويوسف (على إسم أبيه). أما سليم فقد تخلـف بشـمدين ومحمد.

وقد تخاف الجد **خليـل** بالإبنين خالد وأحمد؛ فأنجب خالد خليل ومنه كان خالد ومحمود ومحمد ومعظمهم هاجروا إلى البرازيل والمكسيك. أما أحمد فقد أنجب علي وبـدوره علـي أنجـب الفروع الصغيرة ممثلين بالإخوة محمد علي وإبراهيم علي وأحمد علي.

أما الجد الثالث والأخير **حمود** فقد تخاف بإبنه علي، وتخاف علي بالإبنين <u>**حسن وحسين**</u>. أما <u>**الجد حسن**</u> فقد تخاف بقاسم، وعلي ومحمود وتخاف هذا الأخير بأحمد. وعرف من بعد بجب أحمد محمود حسن. أما <u>علي</u> أنجب مصطفى، ومصطفى أنجب علي وإبراهيم. أما علي فكـان منه: محمد والد أسعد وعلي وقاسم وإبراهيم والذي عرف من بعد بجب أسعد محمد علي. أما

إبراهيم (ابن مصطفى) فكان منه مصطفى والذي أنجب بدوره: دياب وخليل وإبـراهيم. أمـا دياب فربما مات عازبا؛ وخليل أنجب يوسف وفهد، وإبراهيم أنجب علي ومصطفى. وأما **الجد حسين** فقد تخلّف بالحاج ضاهر وعمر. أما الحاج ضاهر فقد تخاف بحسين وحسـين أنجـب رضا. أما عمر فقد أنجب حسين ومحمد وأحمد ومحمود.

وعودة إلى الجد قاسم، وهو ابن محمد ابن يوسف ابن خليل ابن مواس وقد ولد بحدود العام 1835م وتوفي عام 1895م عن عمر يناهز الستين عاماً، فقد عرف عنه الكثير كما قلنا وقيل فيه الكثير عن الكرم وحسن الضيافة ومجالس الأمـراء وميـدان الفروسـية والخيـول الأصيلة ومنابر الشعر والشعراء. فقد كان كريماً مبسوط اليد بالرغم مـن أن ملكيتـه كانـت صغيرة وربما لا تذكر فقد ذاع صيته إلى أقصى الجزيرة العربية وقد ذكر إسمه أمـا الشـيخ عبدا المسلط شيخ الجزيرة العربية فقال أمام محدثيه كم يملك هذا الرجل من الضياع؟ فقالوا: يملك فقط الف دونم وما دون. فقال بلغة العرب: "تو... تو ..." (أي متعجباً) لا يلحقه أحد.

تربى قاسم كسائر إخوته وإخوانه على حسن السيرة والسلوك وناسب أمراء الفضـل وكانت داره كما وصفها الشاعر "سوق العصر عند المساء والصباح" وحلّ عليه الأمراء مـن كل جهة وكان عنده ما لا يقلّ عن خمسين فرساً أصيلة اشتهرت منهن على الخصوص الفرس "هندومة" وكانت فرسه المفضلة لديه، وقد اعجبت ذات يوم الحاكم التركي في ضيافته فقـدمها له هدية على الفور فقال الناس وقتها "'جنّ قاسم عراجي فأهدى هندومة".

وقد حصل ذات مرة وبحدود العام 1875م أن اجتمع في داره كالعادة اكثر من أميـر وعلى رأسهم الأمير محمد الفاعور من الجولان في سوريا، وكل أمير ومعه شاعره الخـاص وبعد أن ضافوا عند قاسم عراجي أياماً طويلة عقد مجلس للشعر في داره فراح كـل شـاعر يمدح بأميره ولسوء الحظ أنهم كلهم نسوا ضيافة الشيخ قاسم عراجي فلم يذكروه وكـان عنـد قاسم عراجي شاعره الخاص وهو الشاعر الياس شهوان "أبو شهاب"،وكان شـاباً مـن كبـار الشعراء وأصحاب الصوت الرخيم وقد حلّ على قاسم عراجي ضيفاً وهو سابقاً من بلدة قرنة شهوان في جبل لبنان (ثم سكنوا فيما بعد قصبة بعبدا كما يذكر أو صليما) وأقام طـويلاً فـي ضيافة قاسم عراجي حتى زوّجه هذا الأخير من زوجة بدوية إسمها بندر وقـد ورد إسـمها مراراً في شعر أبي شهاب وكان له منها: ابنه شهاب والإبنتـان عليـا وورلا، وأعطـاه داراً خاصة له وأقام فيها حتى مات، وكان يرافق قاسم عراجي في رحلاته إلى الجـولان وأنحـاء سوريا والأردن وشهد معه مجالس الصلح والفروسية وأيام العز الكبيـرة؛ وبعـد أن انتهـى

الشعراء في ضيافة قاسم عراجي من إلقاء قصائدهم دون أن يذكروا صاحب البيت، هبّ على الفور أبو شهاب وارتجل بينهم قصيدته "الحائية" المشهورة التي وصلت كلماتهـا فيمـا بعـد أطراف الجزيرة العربية وطبقت شهرتها الآفاق وراحت تنشد وتغنى على أوتار الرباب، كمـا وصلت كلماتها إلى الولايات المتحدة الأميركية وبالتحديد إلى مدينة سبرنكفيلد مـاس بولايـة ماستشوستس حيث يقطن الشاعر اللبناني طانيوس جرجس الخوري البسكنتاوي فـردّ علـى قصيدة أبو شهاب وعلى نفس القافية مادحاً الشيخ قاسم عراجي وقد جاءت مرثاة له حيـث أن وصول القصيدة إلى اميركا كانت بعد أن فاضت روح الشيخ قاسم عراجي إلى خالقهـا وقـد صدرت هذه القصيدة في كتاب للشاعر طانيوس الخوري صدر وطبع في الولايـات المتحـدة الأميركية سنة 1919 بعنوان "جنى الأفكار" وهو كتاب من 125 صفحة كله شروقي وعتابـا، هذا وقد ضمن كتابه قصيدة أبو شهاب الأولى ويقول أنها وصلته هدية من بعـض الأصـدقاء وهي من تسعة وعشرين بيتاً ثم قصيدته بالرد عليها وهي من واحد وثلاثين بيتاً.

وعودة إلى قصيدة أبي شهاب وقد استهلها إستهلالية بدوية بوصف ناقة تسير من بلاد ا الواسعة إلى ديار قاسم عراجي وسرعتها بسرعة النشاب يقول:

يا راكباً من عندنا من فوق مهداب	من هطلها حنن بنات المراح[1]
ما حازها كور الحواوي بمشعاب	وان زوعت تسبق هبوب الرياحي[2]
شوف النظر ما حاقها قول نشاب	ولّى القطا من مقاريص الجو لاحي
تلقى على هجنها تمر وذهاب	يكفيك لو جيت الخلا والنواحي
جد السرى في الخلا وما لهاش داب	ما زالها راحت وطنت كل صاحي

ثم تحط الناقة الرحال في ديرة قاسم عراجي فيصف ملفاها على البقاع وبراالياس التي هي مقصد الناس وكل طلاّب فيقول:

تلقي عالبقاع بها روض وعشاب	وريح النفل بمطحشات السياحي

ا- مهداب: الناقة - هطلها: حنينها. 2- كور الحواوي: جري الفرس السريع
3- هجنها: ظهر الناقة.

ومن عقب ذا تلفي عا راس مرقاب ضلعاً توسط رفيع السياحي[1]
برالياس لاهي عنها كل طلاّب ومدللة بأهل الوجوه السماحي[2]

ثم يعود لمدح آل عراجي واصفاً لبسهم ثم ينتقل لمدح المرحـوم أبـو محمـد قاسـم عراجي فيقول:

ملبوسم من شغل رودس وعينتاب ورماحهم من خيزران اللواحي[3]
عيال العراجي كل أبوهم من طياب دباحةً للضيف حايل وضاحي[4]
وابو محمد للنفيلات كساب مكفي اليتامي بسنين الشحاحي
قاسم بعيد الصيت يا ضيغم الغاب يا عز البنات المفتنات الملاحي
من فوق حمرا كانها طير قلاّب تخوي خوي مخفقات الجناحي[5]
تلفي على عنزوليا والشعاب قبّت جفولها وراعها حس واحي[6]
بشلفات تضوي بالدجا قول مشهاب ولى البرق من مقاريص الجو لاحي
وسيف اليماني ناقع الدم بقراب والراس من بين الوثابين طاحي[7]

وبعد ان انتهى من وصف المرحوم قاسم عراجي ووصف فرسه الحمرا وسلاحه الذي يتمنطق به من الشلفه إلى السيف يعود ليصف دار الوجاهة دار المرحوم قاسم عراجي فيصفها وكأنها سوق العصر عن المساء والصباح وذلك لكثرة الناس والضيوف التي تعج فيها متـنقلاً إلى وصف دار القهوة المرّة وهي من شعار الكرم والضيافة فوصف مصبات القهوة وكأنهـا مزراب –دلالة الكرم- ورائحتها الطيبة تفوح منها ووصف ساقي القهوة على منقل الفحم وهو القهوجي عند قاسم واسمه عريان ثم وصف المهباج يتعالى صوته بنغمات جميلة جدا يظنهـا المرء من بعيد صوت نجار عند تصنيعه للخشب وهو يلاعب حبات البن ليطحنها فيقول:

بدار وسيعة عالية مشرعة الباب سوق العصر عند المساء والصباحي
دلالهم مشرعة مصبها تقول مزراب وريح البهار بمنقع الطيب فاحي
والنجر يضبح عندهم قول خشّاب دق الضبوح وحاصر البن واحي[8]
وعريان ساهر الليل عنهم ما غاب ونحاسهم من ملزق النار ساحي

1- وصف لموقع برالياس الجغرافي. 2- لاهي: يسأل – مدللة: مزينه. 3- رودس وعينتاب: أماكن كانت تصنع فيهـا أفخر الثياب. 4- حايل وضاحي: بكر لم تحمل وغير بكر. 5- حمرا: فرس قاسم عراجي – مخفقات الجناح: أي أنهـا ضامر نحيفة جاهزة للفروسية. 6- أي من سرعة الفرس تجفل منها وتخاف الحيوانات. 7- الوثابين: الكتفين – طاحي: بارز. 8- النجر: مهباج القهوة.

ثم ينتقل بعدها فيصف لحم المناسف للضيوف ويقول لا ترى عينك كهذا الكرم ولـو جبت البلاد من فاس ومكناس في المغرب العربي إلى أرض الصرب والبلغار في اوروبا فلن تجد مثل المرحوم قاسم عراجي الكريم والوجيه والمنصب وأنه وجماعته محفوظين برعاية ا تعالى ويختم قصيدته بالصلاة على النبي والأصحاب ومعرفاً بنفسه بقول هذا الشعر فيقول:

ولحم المناسف اتعب كل قصّاب — عليه سمن العيس والبعض منه قراحي[1]
من فاس لمكناس لملعب دياب — من الصرب للبلغار لأرض الوشاحي
مثل قاسم للمناصب ما حد جاب — ولو قلبنو بالجواجي الصفاحي
وتتليهُ صربية تردي الضد بصلاب — بالدم يجلو مصدّيات السلاحي
شلفاتهم شغل العجم قول ارقط الناب — ومجلّسه من فوق طوال الرماحي[2]
تلقى على مرجهم هجن وركاب — حالي الوبر ما خالطن اللقاحي[3]
ومحفوظين باسم من جر الحساب — من حصن خيبر مانع الباب داحي
الف صلاةٍ على النبي والأصحاب — عشرةً باديات حق الاصطلاحي
هذه القصيدة قالها نضخ بوشهاب — غضوا النظر يا أهل العقول الفصاحي

وقد رد الشاعر طانيوس جرجس الخوري البسكنتاوي على هذه القصيدة من الولايات المتحدة وهذه الكلمات كما جاءت بالحرف في كتابه "جنى الأفكار" في الصفحة 101 وما يليها يقول:

"دفع الينا بعض الأصدقاء هذه الشروقية من قول المطرب الشهير الشاعر الياس شهوان ابـو شهاب البدوي، قال هذه القصيدة مرفوعة الى الشيخ قاسم عراجي اذ كان وقتئذ حيـاً، ولمـا اعطانا الصديق هذه الشروقية طلب مني أن انظم قصيدة على لحنها ولكن كرر رجاه اليّ بأن أجعل قصيدتي مثل مرثاية للشيخ الممدوح لأنه الآن في عالم الأبدية، وهذا ما قاله ابو شـهاب شروقي بدوي –القصيدة المار ذكرها- واجابة لطلب الصديق الذي أعطاني الشروقية السـابقة من قول ابو شهاب، نظمت هذه المرثاية على الشيخ قاسم المارّ ذكره، مع الإقرار بالمقدره في النظم إلى ابو شهاب ولم أقصد بهذه القصيدة مجاراته في هذا المضمار، لا بل اجابـة لطلـب صديقي فقلت على ذات الحانه واللحن شروقي:

1- قصاب: اللحام سمن العيس: سمن الغنم الأصلي. 2- شلفاتهم زرقاء من صنع العجم. 3- وصـف للخيـول التي تنزل بضيافة قاسم عراجي.

نجّاب عدد جوادك واقطع الفلوات	فـي سـرعة السـرحان خـوض البطاحي[1]واسبق بسـيرك الـى دروس الرياحي
يقظان كون وموج موج الغمامات	عند انشقاق الفجر والنور وضاحي
توصل لبرالياس ام الوشاحيات	ضمن الحما والحي بذهاب ورواحي
توجد بها عزوة كهول وفتيان	عند ارتفاع الشمس والماء ضحضاحي
في حد منها مناهل مورد الغادات	ونعاج رتعت جنب مسيال ترتاحي[2]
وسهول تزهي برياض تعادل الجنات	

كانت هذه استهلالية للقصيده وهي تشابه استهلالية ابو شهاب من وصف الفرس وهي تجدّ في المسير كهبوب الريح وسرعة السرحان إلى أن تصل إلى برالياس حيث تجد أمامـك حمى قاسم عراجي والناس عنده في حركة دائمة.

ثم ينتقل فيصف عزوة قاسم عراجي ويصف اسلحتهم من شـلفات ودروع وسـيوف مصقولة كحد الشفرات مسلطة على رقاب الأعادي ثم يمدح المرحوم قاسم عراجـي معـدداً مآثره وذاكراً شمائله من وقوفه عند الملمات وإحسانه لليتامى وكرمه الذي لا يوصف وأنـواع الشهامة والمروءة التي يتحلى بها فيقول:

شبان فيها اشاوس ناقله الشلفات	ودروع صمّا عمل داوود ورماحي[3]
من دق سمهر طويلة تشابه الحيات	منها المدقّع على الأخصام نضاحي
وسيوف معها صقيلة مبردخة الشفرات	تبري رقاب الأعادي بهول ونطاحي[4]
كانو رجالك يا قاسم يوم الملمات	تحت انعباق غبار الخيل بكفاحي
مثلك يا قاسم بعد ما ربّت الدايات	يا نور اليتامى بظلام الليل مصباحي
نلقى بدالك كريم يعادلك هيهات	بكار الثنايا لضيف ان زار ذباحي[5]
قد كنت ناشر علينا بهمتك رايات	تخفق بهية نسيم الليل وصباحي
تجلي هموم الحزانى وتفرّج الشِدّات	بسيف صلعم لجيش الويل جراحي
حر الشمائل كنت ما تعرف الغايات	يا كنز الشهامة وبرح العز ما انزاحي
لي عين ترشح على طول العمر عبرات	مثل انهيال السيول بجرف طفاحي

1- الفلوات: البراري – السرحان: الذئب. 2- مسيال: النهر. 3- وصف لنوع الشلفات والدروع وأهمها صـنع داوود. 4-هول ونطاحي: أيام المعارك. 5- بكار الثنايا: الغنم البكر.

ثم يخاطبه بعد الموت وبعد أن غيبه القبر وكيف أصبحت الحالة من بعـده متحسـراً عليه مذكراً بكرمه واصفاً خيوله الأصيلة وملعب الفروسية وميدان الطراد الذي كان يقام عند مساء كل يوم منتهياً إلى فناء الدنيا وغرورها وأن الأنسان وإن مات جسده فإن ذكـره بـاق وأعماله الصالحة تبقى شاهداً على مر الزمن وإن الخلد وحده تعالى:

من فوق رمسك بيدي لاشتل الوردات ... واقضي الليالي وحيد بنود ونواحي[1]
يا ركن العذارى الملاح المفتنات ... لبست عليك اليوم سود الطراحي
تحت انعباق المصايب نحن والكربات ... صرنا حزانى تلوح اجسامنا شباحي
شلنا ضعنا صرايب فوق بكرات ... وغدونا حيارى حين قاسم العز راحي[2]
من بعد حسن الملاهي وطيب الأوقات ... ورغد المعيشة وزهو ولهو وافراحي
وسرج الحمر والدهم خيلا اصيلات ... وملعب طراد بخلا سيّاح نياحّي
اكفرّ افق السعادة وجلّله غيمات ... سودا وناخت جمال الضعن بمراحي[3]
واسود وجه الضحى تا شابه الدجنات ... ووجه الهلالي عبس من بعد ما لاحي
قاسم كبير الشأن يا ضيغم الغابات ... جماح الاعادي بميدان الحق كبّاحي[4]
قد كنت صقر المكارم ترحم البازات ... حتى يمام الشظف تكسيه بجناحي[5]
ماج بحر الكرم منعصرك موجات ... يا كنز الحزانى في سنين الشحاحي
قد كنت سيف الحقيقة تفرز الهمات ... وتصيغ منها بجيد الدهر مطواحي[6]
إن مات الكريم يا قاسم الذكر ما مات ... يبقى بماء الذهب محفور بلواحي
دنيا غرورا بنا يا ما لها غادات ... والدهر قاس شرس سفاك سفاحي
تمو الدلايل يا قاسم صحت الايات ... ما يدوم غير ا في العرش مرتاحي

ويبدو واضحاً من القصائد الشعرية أنها ركزت بمعانيها على كـرم قاسـم عراجـي ومضافته المفتوحة ليلا نهاراً تستقبل الوافدين والزائرين على كل المستويات حتى أن التـاريخ يذكر ما كانت تردده الألسن عن ضيافة قاسم عراجي للغرباء وعابرين السبيل ومـن سـدّت بوجههم السبل حتى أن السائل عابر السبيل عند سؤاله الناس في برالياس عن بيت لينام فيـه فكان الجواب إذهب إلى منزول قاسم عراجي وفعلاً كان ينام أياماً وليالي على عادة العـرب ومعه فرسه أو دابته حتى أن اصطبلات الخيول كانت عنـده أشـبه بالخـان وهـو المكـان المخصص لزرب الخيول في الفنادق وأماكن الإستراحة القديمة.

1- رمسك: قبرك. 2- شلنا ضعنا: ارتحلنا – بكرات: النوق . 3- اكفر: اسوّد. 4- ضيغم: أسد. 5- يمـام الشـظف: حمام مشهور بقلة ريشه. 6- الجيد: الرقبة – المطواح: العقد.

ومما يجدر ذكره على كرم المرحوم قاسم عراجي، حادثة حصلت لـه أيـام الحكـم التركي وهي أنه قد ضاف عنده ضيوف على عادته ومكثوا أياماً طويلة وهما ضـيفين مـن سوريا؛ وذات يوم طلبوا منه الذهاب في رحلة صيد إلى سهول برالياس، فلبى طلبهم وأعطاهم أسلحة صيد وتوجهوا إلى سهل برالياس بمحاذاة نهر الغزيل المعروف حالياً، وخلال رحلـتهم هذه أخطأ أحدهم الآخر وهو يصطاد فأصاب رفيقه فقتله وعلى التو رماه بمحاذاة النهر وفـرّ هارباً خوفاً من حكم العهد التركي.

وبعد أيام وجدت الجثة وتبيّن أنها لأحد ضيفي قاسم عراجي فأوقف قاسـم عراجـي رهن التحقيق وأخذ به إلى سجن المزة في الشام وهو متهماً بقتل ضيفه وهناك وهو في السجن وضع في زنزانة بقرب زنزانة كانٌ يحتجز فيها الثائر يحيا الأطرش شـقيق سـلطان باشـا الأطرش وكان مشبوحاً إلى الجدار وهو بالسلاسل الحديدية، ونظر المرحوم قاسم عراجي من نافذة الزنزانة فوجد خياطاً يدخل إلى مبنى السجن فاستدعاه ليسأله فأخبره بأنه سيدخل علـى مدير السجن لخياطة بذلة له، فسأله كم يبلغ ثمن بذلة الأفندي فقال بحدود ليرة دهبية تقريبـاً، فما كان من قاسم عراجي إلا أن فتح كمراً على خصره وقال افتح يديك ففتحهما، فصب فيهما زوراً من الليرات الذهبية تزيد على ثلاثين ليرة وقال هذه ثمن بذلة الأفندي عندما تدخل عليه.

اندهش الخياط اشد الدهشة ودخل على مدير السجن وبعد أن قدم البذلة لمدير السـجن أخبره بالذي حصل وأنه قبض ثمن ثلاثين بذلة وليس بذلة واحدة، عندها تعجب مدير السـجن وطلبه على الفور وشكره صنيعه ثم تعرف عليه وأبدى استغرابه لوجود شخص بهذه المنزلة في هذا السجن فقصّ عليه قاسم عراجي القصة بكاملها وهنا قال له مدير السجن سأخدمك بكل ما استطيع وأنت ليس مكانك هذه الزنزانة فأمر له بغرفتين بالقرب من مكتبه فطرشتا ونظفتا جيداً ثم نقله فوراً إليها وعززه وكرّمه وسأله كل ما يريد فقال لي طلبين فقط أولهما أنني أريد قهوتي وديواني من منقل وأباريق والقهوجي عريان – اسمه- لأنني لا أستطيع العيش بـدون مضافتي وثانياً أن تفك لي سلاسل يحيا الأطرش فأنقله إلى غرفتي ويبقى تحـت مسـؤوليتي مهما كلّف الثمن.

والمعروف أنه كانت هناك صداقات حميمة بين آل عراجي وآل الأطرش منذ زمـن بعيد، وهكذا كان وأرسل مدير السجن إلى أهل المرحوم قاسم عراجي يخبرهم بطلبه وجهزت المضافة وتوجّه معها القهوجي عريان إلى الشام، وتم نقل يحيا الأطرش وفكت قيـوده لينـام

بجانب قاسم عراجي وعلى مسؤوليته، وتعالى صوت المهباج في وسط السجن وشرب الداخل والخارج قهوة قاسم عراجي.

وما هي إلا فترة بسيطة وقد تناقلت الأخبار حادثة قاسم عراجي فوصل الخبـر إلـى أطراف الجزيرة بالشام وعلم ضيف قاسم عراجي الذي سجن بسببه، فجاء هائماً على وجهـه إلى سجن المزة ليسلّم نفسه فوراً ويبرئ قاسم عراجي من التهمـة وأخبـر السـلطات كيـف حصلت حادثة رفيقه على الوجه الذي ذكر.

وهذه من الأحداث الهامة في تاريخه رحمه ا حتى صدق فيه القول فغطى فيه كرمه على كل عيب.

وبقي منزول ومضافة قاسم عراجي مفتوحاً أمام الناس، وقد أدارت دفته المرحومـة أمينة عراجي شقيقة قاسم وكان أولاده لا يزالون صغاراً وخاصة أبنه البكر محمد، ولم يكـن الأمر جديداً على أمينة، فهي كانت تجلس في ديوان أخيها على الدوام، وتجالس الأمراء منهم والعامة ولم يكن لقاسم أخت سواها وكانت من النساء الجميلات الحسان (كما يصـفها والـدي المرحوم فواز عراجي) والطوال وكانت تهوى شرب السيجارة وتلفها بيدها، وكانـت عنـده مدللـة كثيراً ولم تتزوج في حياته وقد طلبها الكثيرون من الأمراء فرفضت ومـنهم الأميـر محمود الفاعور والأمير أحمد بك اليوسفي وغيرهم، وهي كذلك رفضت الزواج من بعد مماته وحافظت على ديوان قاسم عراجي وكان العبيد والخدم يتنقلون بين أيديها، وتعلّل القهوة المرة بأيديها وتصبها للأمراء والمشايخ وزوار المضافة وقد كان لها شأن كبير في السياسية المحلية للبلدة، وكانت تشير برأيها في كل كبيرة وصغيرة حتى تسلّم الدفة لاحقاً أبن أخيها محمد قاسم عراجي، وقد ماتت عن عمر يناهز التسعين.

ولم يزل الشاعر أبو شهاب يلازم ديوان قاسم عراجي كالمعتاد بعد وفاته، رغم تنقلاته وأسفاره الكثيرة من برالياس إلى جبل لبنان ومن برالياس إلى الجولان وجبـل الـدروز فـي سوريا وغالباً وكما ذكرنا كان يرافق قاسم عراجي في هذه الجولات إلى تلك المنـاطق وقـد روى أبو شهاب أنه كان برفقة قاسم عراجي في جبل الدروز في سوريا وكانت هناك نزاعات بين بعض العائلات و'كلّف المرحوم قاسم عراجي بالتدخل فذهب إلى ديوان أحد المتخاصمين ودخل المضافة ومعه أبو شهاب وآخرين، فلم يتعرف عليه أصحاب الجليسة ولم يكرموه حقه في البداية، وراح يجيل ويقلب نظره في الحاضرين، ثم نظر بطرفه إلى أبو شهاب، فـنهض

أبو شهاب في الجليسة ليقول فيهم أبيات من الشعر تحثهم على التعرف على الضيوف جيـداً، وتقديم صاحب الجليسة نفسه إلى الضيوف لبيان الغرض من زيارتهم فقال:

مينو سيد هالديرة وسدها بواب البخل قفلّها وسدها
طبّع شبلها وشيبها وسدها حتى ديبها بطل عوى

فقام زعيم الجليسة وقال أنا هو "فلان" فقال أبو شهاب: انه قاسم عراجي في ضيافتك وانه لـن يشرب قهوتك قبل نيل مراده. فهب الشيخ يقبّل رأس قاسم عراجي وكان يسمع عنـه الكثيـر الكثير ولكنه لم يسبق له أن تعرّف عليه بالوجه وقال له أهلاً بك في بيتك وعشيرتك، إشـرب قهوتك وكل مطالبك مجابة، فشرب القهوة قاسم عراجي وأخبره بأنه جاء للصلح بينهم وبـين أهل بلدهم من الطرف الآخر وتمّت الصلحة فيما بعد بوجود قاسم عراجي.

ومما يجدر ذكره أن أبو شهاب كان غائباً عن برالياس في الوقت الذي توفي فيه قاسم عراجي حيث كان في جولة له بسوريا ولما قفل عائداً علم بوفاة قاسم عراجـي وهـو علـى مشارف البقاع، فلما وصل برالياس، وقف أمام دار المرحوم قاسم عراجي، وراح يلطم بيمينه على شماله (يلطم يداً على يد تحسراً) وراح يقلب نظره في الدار وكان في استقباله عيال قاسم عراجي ومعهم السيدة "يمنى" وهي زوجة قاسم عراجي التي كانت على قيد الحياة في حينـه، فأنشد يقول:

لفت شمال الحزن يمنّا وصرت اضرب شمالي بأيد يمنى
ويا لايم لا تلوم عيون يمنى إن لبست عا جاسم سود الطراح

ثم نظر إلى "البيادر" الممتدة أمام دار قاسم عراجي وهي فسحة أرض كبيرة ولا تزال قائمة حتى اليوم وكانت مرجاً أخضر ينزل عليه العربان ويستعمل في عصر كل يوم لطـراد الخيل والميدان (السبق) ولعب السيف ورمي الرمح وشاف الرجيدي (هـي عصـاة طويلـة تستعمل للرمي كالرمح) وكانت هذه البيادر بالفعل كسوق العصر كما وصفها أبو شهاب فـي قصيدته السابقة، حيث يخرج الناس للفرجة والمتعة، ويتبارى الفرسان مع بعضهم يظهـرون فروسيتهم وشجاعتهم، فبعد أن أمعن أبو شهاب النظر إلى هذه البيادر توجه إلى "يمنى" وهـو ينشد:

يا يمنى وين سوق العصر هالكان يروي الضعيف وكل هلكان
ويا يا منازل وين هلكن غدوا بالمقابر تحت التراب

وعودة لأخبار العائلة فإني أذكر وإنصافاً للتاريخ أن كبار ومشايخ العائلـة جمـيعهم كانوا كراماً وأهل شهامة ومرؤة، وإن تميّز أحدهم على الآخر فكان للفضيلة أقـرب ولحـب الناس وخدمتهم يرغب، وكانوا جميعاً أهلاً للضيافة والكرم وفعلاً كما وصفهم أبو شهاب:

عيال العراجي كل أبوهم من طيّاب   دباحة للضيف حايل وضّاح

فكانوا كلهم أصحاب منزول وديوان، حتى أن الأرملة فيهم كانت تذبح لضيف، أو تأوي لعابر سبيل.

وعلى العموم فقد توزّعت المنازيل (جمع منزول) والمضافات على جهات أربعة مـن العائلة: فكان منزول قاسم عراجي ومن بعده إبنه محمد قاسم ومن بعده في أبنائه فواز وفـايز وفوزي ومحمود ورفعت، وكان منزول إبراهيم عراجي ومن بعده في أبنائه راشد وسعد الدين وزين العابدين وعلي، وكان منزول المرحوم عمر عراجي والذي إنقسـم مـن بعـده إلـى منزولين: منزول محمود عمر عراجي ومن بعده في أبنائه: وحيد الـدين وعـادل ورشـدي وشريف وسليم وإبراهيم ويوسف وعمر، ومنزول حسين عمر عراجي (أبو شئيم) ومن بعـده في إبنه الوحيد شئيم.

هذا بالإضافة إلى بعض المنازيل الصغيرة الأخرى وقد توزّعت تقريباً علـى عمـوم العائلة، حتى أنه لم يخلو بيت من هذه البيوت إلا وفيه "منقـل" للقهـوة والـدلال والمهبـاج ويتوارثها الأبناء بينهم تماماً كما كانوا يتوارثون سرج الخيل وأعِنّتها (جمع عنان وهو لجـام الفرس) والخُرج (ما يوضع على ظهر السرج ومؤخرة الفرس).

وكان المنزول عبارة عن مضافة كبيرة ممدودة بالسجاد العجمي يلفّها وسادة أرضية على جميع جهاته (طزر أرضي) مصنوعة غالباً من اللّباد الصوف أو ‘بسط السجاد العجمـي المطرز ومن خلفها مساند من الدامسكو (أي الدمشقي) وغالباً ما كانت ‘تجلـب مـن الشـام وتتوسطها أرائك وطنافس ومحادل صغيرة مصنوعة من الصوف للإتكـاء عليهـا، وكانـت تتوسط هذه المضافة دلال القهوة المرّة وهي عبارة عن "منقل" مصنوع من النحاس السـميك يصل طوله إلى 1.50م وعرضه 80سم وبوسطه كومة من جمر الفحم المصنّع مـن خشـب السنديان –كان أصحاب المنازيل يموّنون الفحم بالخياش كما يموّنون القمـح- وتحـيط بهـذا الجمر الأحمر من جميع جهاته "دلة القهوة" وهي مجموعة من الأبـاريق والمصـبّات يصـل مجموعها أحياناً إلى عشرة وفيها الكبير والصغير والوسط وكلها من النحاس الأصفر الصافي إضافة إلى فناجين القهوة البدوية. وهي التي قال فيها أبو شهاب:

ودلالهم مشرعة مصبّها تقول مزراب   ونحاسهم من مازق النار ساحي

(وأنا أصف هذا الديوان بدقة متناهية كوني قد كتب ا   لي العمر فرأيت هذا الديوان بأم عيني وأنا ابن سبع سنين وجالست مجاليسيه وسمعت محدثيه، وكنت أرافق المرحوم أبي فـي هـذه الجلسات).

كما كانت تنتشر مجموعة من الأراكيل يل في فناء هذه المضافة، يتناولها بعض شريبة التنباك وهنا يتنوع التبغ والتنباك من بلدي إلى عجمي إلى تركي إلى فرنجي كما تتنـوع الأراكيـل بزجاجاتها من سادة إلى مذهّبه إلى مزركشه وإلى نوعية قزازها ثم يتنوع نربيش الأركيلة من نوع إلى آخر وغالباً ما كان يصنع من جلد "السختيان" الرقيق وربما هو جلد الغزال.

وكان يرتاد هذه المنازيل الكثير من الناس، منهم من أهل البلدة ومنهم من خارج البلدة وأحياناً من خارج البقاع ولبنان من أمراء في سوريا وضيوف آخرين من بلاد الشام وحوران والجزيرة العربية، وكان ضيوف المنازيل وخاصة أهل البلدة يجتمعون في أي منزول من هذه المنازيل ليلاً (كان يتنوع رواد المنزول وفقاً للأهواء السياسية والمحلية أو وفقاً لمحبة صاحب المنزول وأهواء أخرى) وهناك يشربون القهوة المرّة والأركيلة ويتم تبادل الأحاديث في هذه السهرات من كل حدب وصوب وكأنه مجلس أدب وثقافة يتعدّاه إلى السياسية فهذا يسمع وهذا يقاطع وهذا يؤيّد وذاك ينتقد وأحياناً ما يختلط الحابل بالنابل وكله في جوّ محبة ووئام.

كما يتبادلون أمور البلدة وسياستها، وسياسة السـاعة الراهنـة والأحـداث العربيـة ونشرات الأخبار التي تتناقل عبر أفواه المحدثين وخاصة أخبار الحرب العالمية الأولى وأمور السلطنة العثمانية (لم يكن هناك وسائل إعلام كالراديو والجريدة وخاصة في ضيعة صـغيرة مثل برالياس في حين كانت هذه الوسائل موجودة في بيروت والشام مثلاً) وقد دخل الراديـو فيما بعد إلى هذه المنازل (كان يوجد في منزول إبراهيم عراجي "فونوغراف phonograph" وهو جهاز لسماع الموسيقى والأغاني ثم وجد الراديو بعدها)، ويتنـاولون أمـور الزراعـة والمواسم وخاصة أنهم كانوا يزرعون بين تشرين الأول وكانون الأول ويحصدون بين تمـوز وآب وكل ما عدا هذه الأشهر، سهرات في المنازيل ودواوين حديث.

ولم يكن جوّ البسط والفرح ببعيد عن هذه المنازيل فكانت تتلى قصائد الشعر وأبيـات العتابا والشروقي وغالباً ما يتخللها عزف على الربابة أو دق على المنجيرة والناي أو قرّاضية

(شعر عامي) من هنا وقرّاضية من هناك ونكات وطرائف متعددة كما لم تخلو هذه المجـالس دائماً من الحياة الدينية من قرآن وحديث وتفسيرات خاصة عندما يكون إمام البلدة أو الخوري حاضراً في هذه الجلسات، خاصة أيام الشيخ محمود المجذوب والشيخ الزغبي وغيرهم.

أما منزول ومضافة المرحوم إبراهيم عراجي لم يكن يقل أهمية عن منـزول أخيـه قاسم، خاصة وأنهما قد نهلا من نفس النبع، نبع والدهما الشيخ محمد أفندي عراجي، حتى أن القهوجي عنده كان "طعان" وهو شقيق "عريان" الذي كان يعلل القهوة عند قاسم عراجي، فكان المرحوم إبراهيم عراجي صاحب أخلاق كبيرة، وقد ُعرف بطهارته وتدينه وحلمـه وحسـن الأناة، وكانت مضافته تعج بالضيوف والزائرين من كل مكان ومنهم من الشام ومـنهم مـن الجزيرة العربية ومنهم من شبعا والجولان، وكانت تشهد على ذلك إصطبلات الخيول المعـدّة لإستقبال الضيوف من بعيد ولا تزال معالمها ظاهرة ومنها ما هو قـائم حتـى كتابـة هـذه السطور، وكان الضيف ُيستضاف و ُيستقبل فوراً في المضافة، كما يقوم رجال مخصصـون (كانوا يسمون المرابعين) بأخذ الفرس إلى داخل الإصطبل لإطعامهـا وسـقايتها وكـانوا لا يسألون ضيفهم إلا بعد ثلاث (أي ليال) جرياً على عادة العرب وإحتراماً للضيف.

كما كان المرحوم إبراهيم عراجي ميّالاً للزراعة والأرض، وكان يقرأ ويكتب جيـداً ويحلّ المشاكل بين الناس وخلافات الإرث والقسمة، كما كان يأوي إليه المساكين والأيتام، وقد روي عنه (ما يرويه إبنه سعد الدين إبراهيم عراجي) الكثير في موضوع التحكيم ومنه أنـه حكم وشرع بين الأمير محمود الفاعور وأخيه دهام في الجولان وذلك بحضور طراف حيمور المشهور وكان صديقاً كبيراً للعائلة، وهناك قسّم الورثة بينهم إلى ثلاثة أقسام فقال لهم: ثلـث لك يا أمير محمود وثلث لك يا أمير دهام والثلث الأخير للزعامة، أي للشخص الـذي يتـولى الزعامة ويفتح بيته ومنزوله للناس وللسياسة ويبدو أن الزعامة كانت تتجه نحو الأمير محمود أكثر من دهام وهكذا كان، وكذلك أعاد إبراهيم عراجي هذه القسمة نفسها بين أبناء المرحـوم حسين عراجي فجمع أبناء حسين عراجي وهما: الحاج ضاهر وعمر وقال لهما: ثلـث لـك ياحاج ضاهر وثلث لك يا عمر والثلث الأخير لصاحب المنزول والزعامة، وهكذا كان الثلـث الأخير من نصيب المرحوم عمر عراجي لأنه كان صاحب المنزول والمضافة كما سنراه فيما بعد.

وقد ولد المرحوم إبراهيم محمد عراجي بحدود العام 1860 وتـوفي بحـدود العـام 1923 عن ثلاثة وستين عاماً (كما يرويه أبو طلال سعد الدين عراجي فيقول أنه كان ابن سبع

سنين عند وفاة والده إبراهيم وحيث أن ولادة أبو طلال في العام 1916 فتكون ولادة إبـراهيم عراجي بحدود 1860) وبهذا يكون قد عاصر إنتقال السلطة من الأتـراك إلـى الفرنسـيين 1919-1920، وفي هذا المجال يذكر (مما ترويه أمينه محمد عراجي وسعد الدين) أن الحملة الفرنسية التي جاءت من بيروت (عبر مرفأ بيروت) وكانت تتجه بقيادة الجنرال غورو إلـى الشام لتثبيت حكم الفرنسيين والتي انتهت بمعركة ميسلون فـي 24 تمـوز 1920 بانتصـار الفرنسيين ومقتل يوسف بك العظمي قائد الحشود السورية ضد فرنسا.

وكان من المقرر أن تسلك هذه الجيوش طريق بيروت شتورا برالياس الشـام حيـث اتخذ "غورو" مقراً له في المريجات، وفي هذه الأثناء كانت الثورة العربية الكبرى تدور رحاها ضد الفرنسيين بعد إعلان حكومة دمشق العربية ودخول الأمير فيصل إلـى الشـام وإعـلان المؤتمر السوري العام إستقلال سوريا بنظام ملكي وبزعامة فيصل وفعـلاً شـكلت حكومـة عسكرية في سوريا ورفع العلم العربي على بيروت في 6 ت1 1918 وأخـذت أول صـور للأمير فيصل في بيروت في العام 1919 مع عمر الداعوق (الـذي سـلمه الـوالي التركـي اسماعيل حقي مقاليد السلطة في بيروت وكان رئيساً لبلديتها).

هذا وقد حشدت الحشود على طريق الشام من تعنايل إلى برالياس وكلهم من الثـوار المسلّحين وقد جاؤا من بعلبك الهرمل ومناطق القرعون، ودارت معركة مع طلائـع الحملـة الفرنسية بين تعنايل وبرالياس وسقط فيها أحد عشر جندياً فرنسياً مما اضطر غورو لتغييـر سير الحملة عبر جب جنين الرفيد المصنع وكان شبان من عائلة آل عراجي على رأس هـذه الحملة ومنهم خليل (أبو ماجد) إبن إبراهيم عراجي، وتركي قاسم عراجي وقـد وشـى بهـم الواشون بعد استتباب الأمن والسيطرة الفرنسية عند الجنرال غورو في المريجات واسـتدعي إبراهيم عراجي إلى مكتب غورو في حين فر خليل إبراهيم عراجي إلى شبعا علـى حـدود الجولان (كانت أخته أمينة عراجي متزوجة هناك) وفرّ تركي قاسـم عراجـي إلـى الأردن واستضافه الأمير عبد ا .

وهذا ما يثبت أنه كانت هناك علاقات بين الشريف فيصل والعائلة ويقال أن رسـائلاً تبودلت بين فيصل والعائلة وان مبالغاً من المال أرسلت للعائلة لدعم الثورة العربيـة وشـراء الأسلحة وأحد هذه المبالغ كان /4000/ ليرة ذهبية، استطاع أحدهم أن يجيّرها لحسابه الخاص ووقع على الإستلام بدلاً من إبراهيم عراجي. وكان إبراهيم عراجي يتوقّع أن يسأله "غـورو" عن الأسلحة والتي تسلّح بها أبناء العائلة من مالهم الخاص، وهكذا جمع إبراهيم عراجي أهله

وأقاربه وقال لهم: سيطر الفرنسيون ولا بد أن نشتري أنفسنا وعلى هذا الأساس جهزوا أنفسكم وكل منكم يقدّم قطعه من السلاح، وهكذا نظم قائمة بالأسلحة ولما دخل على "غورو" وسـألة هذا الأخير قال له: لسنا خارجين عن طاعتك وهذه أسلحتنا بتصرفك تتسلّمها سـاعة تشـاء، وكان "غورو" قد أعلن فيما بعد "حملة جمع السلاح من المدنيين"، وكانت بداية لتحسين العلاقة مع الفرنسيين، في حين ظلّ خليل عراجي هارباً في شبعا ولدى عودتـه إلـى أهلـه سـراً لزيارتهم، وشى به بعض الواشين فداهمته حملة فرنسية على البيت، فاختبأ في بئر الماء عنـد أهله طويلاً، ثم خرج منه بعد أيام يعاني من مرض قضى على حياته فيما بعد (أيام قليلة).

أما أشقاء قاسم الباقون وهم سليم ويوسف، أما سليم فقد تعلّق بالتجارة وكـان بارعـاً فيها، وكان يرتحل من بلد إلى بلد في سبيل هذه التجارة حتى تركيا وشمال العراق وقد وصلت تجارته (وفقاً لما يرويه سعد الدين إبراهيم عراجي) إلى الموصل.

أما يوسف وكان شاباً جميلاً وسيماً وقد ضرب المثل بحسنه وجماله، وتـولى مهمـة جمع الأعشار (أي ضرائب الدولة وكانت تسمى "الميرة") وقد احتفظ بهذه الوظيفة طيلة حياته وكان من أصحاب الخاق الحسن، وقريباً إلى نفوس الناس.

أما وبالعودة إلى أبناء المرحوم قاسم عراجي وهم: محمد وأحمد ومحمود وتركي، فقد برز منهم محمد قاسم عراجي وكان بكر أبيه وقد ولد بحدود 1870م وتـوفي بالعـام 1935م عن عمر يناهز الخامسة والستين، فقد تولى منزول ومضافة والده قاسم عراجي وكان صغيراً في السن حيث أن عمته أمينة محمد وشقيقة قاسم هي التي حفظت هذا الديوان وأبقته مفتوحـاً سنوات طويلة حتى وصل الدور إلى إبنه محمد وكانت تجلس في هذه المضافة وكأنها أميـرة عرب وتعلل القهوة بيديها، ومن حولها الحشم والخدم وكانت تستقبل الضيوف وتسـهر علـى راحتهم من أمراء ومن عامة الناس ومن أهالي البلدة الذين كانوا يكنون لها كل تقدير واحترام، وكانت صاحبة خاق ودين وماتت عزباء عن عمر يناهز التسعين عامـاً، وحجـت بيـت ا الحرام على راحلة (جمل).

وهكذا تولى المضافة محمد قاسم أبو فواز وكان رحمه ا من الرجال الأشاوس الذين ‘يحسب لهم كل حساب، قوي البنية، طويل الهامة، مفتول السواعد، طويل الشاربين، جهوري الصوت، إذا تكلّم حسبته رعداً يزمجر، وإذا اعتلى صهوة حصانه حسـبته مغـواراً، قـوي الشكيمة، مرهوب الجانب، لا يخاف الموت، يخترق الشدائد، يقتحم الصـعاب، وتشـهد لـه

المواقف الصعبة بكامل رجولته. وقد تعاطى مع أصحاب والده محمد عراجي وحـافظ علـى ودهم وصداقتهم من لبنان إلى سوريا فالأردن والجزيرة العربية وحتى حدود العـراق وكـان ديوانه ومنزوله مفتوحين ليلاً نهاراً أمام الناس، وكان متوسط الحال ولكن كرمه سيّال، وقـد اهتم بشؤون الزراعة وتربية الخيول واستطاع أن يحافظ على رسـن خيـل جـده الأصـيلة "المعنقية". وقد عاش بالطبع أحداث الحرب العالمية الأولى، ومجاعة ذلك الزمـان الصـعبة، وكانت علاقاته جيدة مع الأتراك وقد اعفي من الخدمة العسكرية الإجبارية أكثر مـن مـرة وعندما تشدد الأتراك كثيراً في هذه الخدمة وخاصة خلال فتـرة الحـرب العالميـة الأولـى 1914-1918 .

أرسل والدي المرحوم فواز عراجي بديلاً عنه في منتصف العام 1918، وكان حـظ والدي كبيراً حيث خدم في الجيش التركي أياماً معدودات وبالذات كانت خدمته في دير تعنايل (كما كان يروي ذلك بنفسه) وقد هرب من الخدمة العسكرية ببذلته وبارودته وكامـل عدتـه، واختبأ على ظهر تتخيتة عند أخته فوزية لمدة شهر كامل دون معرفة أهل البيت، وكان حظه كبيراً فسقط الحكم التركي في لبنان بحدود أيلول 1918، وكان ذلك لمصلحته.

ومما يستشهد به على رجولة محمد قاسم ومناصرته للحق والضـعيف فـي الوقـت المطلوب ما حصل بينه وبين ملحم قاسم المشهور في ذلك التاريخ وهو أشهر من أن يعـرّف وقد عرفته تركيا أولاً ثم فرنسا ثانياً ثم عهد الإستقلال الأول، حيث عرّف عن نفسه في حينه بـ "رئيس حكومة الفلتانة" وهو أبو علي ملحم قاسم المصري وكان بجانبه دائماً ما لا يقلّ عن خمسين خيّالاً، يرافقونه أينما ذهب وينزلون معه أينما ينزل، ويقاتلون معه حيث يريد القتـال، ويغزو وينهب حيث يريد الغزو، ويضرب ويقتل أحياناً دون أن يجرؤ على محاسـبته أحـد، ومعروفة أخباره ومعاركه مع الأتراك ومن بعد مع الفرنسيين وتشليحه للقطـار القـادم مـن بيروت إلى رياق فسوريا وفلسطين، وأسر أكثر من مرة وهرب أكثر من مرة وسركل ونفـي إلى عكا وهرب من التران (القطار) في منتصف الطريق.

وهكذا حصل ذات يوم وجود عرس في برالياس (رواية عن أمينة عراجـي وسـعد الدين عراجي) وهو عرس رضا الصاروط والد رشدي الصاروط الذي ما زال حيّاً وهو فـي كندا (مدينة كالكاري) حتى كتابة هذه السطور. وكان العريس رضا الصاروط وعروسته كـل على ظهر فرس وسط الزفة والهتافات والزغاريد تمر بطرف البلدة من أمـام بيـادر بيـت عراجي بالذات، وكان السيد أحمد يوسف ضاهر الملقب "بالحجر" جد قاسم ضـاهر الملقـب

كذلك "بالحجر" فيما بعد كان يجر بحصان العريس وسيفه على جنبه وكان رجلاً قوياً وشجاعاً لا يخاف الموت، ولدى مرور الموكب بمحاذاة البيادر التي ذكرنا، كان يصادف ذلـك وجـود ملحم قاسم وخيالته في سهل برالياس وكان قد انفرد عن هؤلاء الخيالة أخو ملحم قاسم واسمه حيدر وتوجه إلى العرس، ولما رأى العريس يزهو ويتألق على فرسه بجانب عروسته، حاول على عادة الفرسان "التعليم" على العريس وهي عادة بحيث يسرع بفرسـه ويمشـح بفـرس العريس برمحه أو بسيفه، وما أن فعل ذلك حتى هب في وجهه أحمد يوسف ضاهر (الحجـر) ورماه بطعنة سيف واحدة أردت فرسه صريعة في الأرض وأصيب في رجله ووقـع أرضـاً والدم ينزف منها.

عند ذلك أطلق "حيدر" رشقة من بارودته بالرصاص الخطاط، وكانت تلك علامة بينه وبين أخيه ملحم قاسم وما هي إلا دقائق حتى وصل ملحم قاسم ومعه خمسون خيالاً بمن فيهم محمد المفلح وكان شقيق زوجة ملحم قاسم، وطوّق ملحم قاسم العرس وأخـذ أحمـد يوسـف ضاهر عنوة من بين الجموع وقاده إلى طرف البيدر (تماماً محل مستشفى الهلال اليوم) مكبلاً بالحبال ومعصوب الرأس بعصابة سوداء، وذلك ليعدمه رمياً بالرصاص.

وتفرّق الناس من الخوف والذعر ومنهم من اتجه إلى دار محمد قاسم وكانت داره كما هي اليوم مقابل البيادر مباشرة، فهب أبو فواز من مكانه مسرعاً، بإتجاه البيادر ولحق به عمه إبراهيم محمد عراجي ومعهم جمع من شباب العائلة، وراح يفاوضه أبو فـواز وأبـو خليـل إبراهيم عراجي وكانت تربطهما بملحم قاسم علاقة طيبة ووطيدة، وكان ينزل ملحم قاسم مـن وقت لآخر ضيفاً على أبو فواز أو إبراهيم عراجي وتذبح له الخرفـان والمناسـف وكـانوا يتنادون "بإبن العم" .

وهكذا طلب أبو فواز من ملحم قاسم أن يتحمّل غلطة "الحجر" بكامل مسـؤوليتها وأن يحرره من الإعدام فكان أبو علي ملحم قاسم يرفض، لأنها جريمة في نظره لا تغتفـر، وقـد عرض عليه أبو فواز هدية بدل الفرس فرسين وخاصة أن "حيدر" لم يصب بأذى كبير. ثم أنه لا يقبل بأي شكل من الأشكال أن ُيعدم رجل على بيدر بيت عراجي وفي حماهم، عندها تعقل محمد المفلح ابن عم ملحم قاسم وقال لملحم قاسم: إحترم العيش والملـح بيننـا وبـين بيـت عراجي، وهذا أبو فواز محمد قاسم عراجي لا ُيرد له طلب، وتقدم بخنجـره يقطـع الحبـل الملتف حول "الحجر" ويفك العصابة السوداء عن عينيه ويقول له إذهب حراً كرمـال عيـون "أبو فواز".

وكان الحجر يقول للناس من بعد هذه الحادثة ويروي ذلك للمرحوم إبراهيم عراجي ويقول: وا   يا عمي إبراهيم كنت أراك وأنت بالمزوية السوداء مع أبو فواز من تحت العصبة السوداء وأقول يا رب قرّب الفرج.

وقد استمرت العلاقات طيبة مع ملحم قاسم وكان يزور العائلة دائماً، وقد طلب يد هاجر ابنة إبراهيم عراجي للزواج فرفض أبو خليل هذا الزواج، وزوّجه أبو فواز محمد قاسم من ابنته البكر فاطمة، ولكن هذا الزواج لم يعمّر طويلاً فطلقت منه بعد سنة تقريباً.

وهكذا كان لأبو فواز دوراً كبيراً في تلك الحقبة من الزمن وكان يُحسب له كل حساب سواء كان أمور السياسة أو أمور البلدة والعلاقات مع أهلها والتي غالباً ما كانت تسودها الهدوء ثم يتعكّر صفوها من وقت لآخر، خاصة وأن هذا العهد شهد أناساً متعلمين وطامحين إلى الزعامة والرياسة وبعضهم كان ذا مراتب عليا في الدولة ومنهم المرحوم رشيد الحشيمي ولكنهم كانوا يختلفون وسرعان ما يتفاهمون، وتتقلّب أوضاع العائلة بين مؤيد ومعارض ولكن سرعان مع يتوحّدون ويقفون مع بعضهم البعض عند حصول أي خطر كبير وقد ضُرب المثل في التفافهم على بعضهم في مثل هذه الحالات، ولا داعي لذكر الشواهد.

هذا وفي الوقت الذي كان يلازم محمد قاسم مضافته وديوانه في ظل حالة من الحرب المخيفة 1914-1918 وكان القحل والمحل يحلّ بسهل البقاع وكانت المجاعة تدق الأبواب في كل مكان، وكان يزحف أهل الجبل باتجاه البقاع وبرالياس يلتمسون فيه رغيف الخبز أينما وجد. كان المرحوم جدي أبو فواز يعهد إلى إبنه البكر فواز (المرحوم والدي) بالسفر مع عمه تركي قاسم عراجي إلى مشارف الجولان وشبعا والحولة حيث كانت هذه المنطقة كثيرة الخيرات ومشهورة بالقمح الأبيض الصليبي وكان عمر والدي حينئذ لا يتعدّى العشرون عاماً وكان يسافر مع عمه تركي قاسم عراجي على فرسين وبضعة من الدواب (حمير) من برالياس إلى الحولة في الجولان لسفرة لا تقلّ عن شهر ذهاباً وإياباً ليرجعوا بعُدْل القمح (أكياس) الصليبي، ليبيعوها لتجار الجبل والذين غالباً ما كانوا ينتظرون في الدار وصول هذه القافلة لينقلوها ليلاً على دوابهم إلى الجبل وبأغلى الأسعار.

وكان مدّ (20كيلو) القمح يصل إلى عشرين ليرة عصمليه (أو عثمانية ذهبية) كما كانت تسمى في حينه. ونظراً لرواج هذه التجارة يخبر والدي بأنهم غالباً ما كانوا يتزودون بالطعام والذهاب (لوازم السفر) ويعودون للسفر ثانية من نفس الليلة إلى الجولان.

وفيما يذكر رحمه ا وكنت أسمع منه بنفسي ويحدثني عما كانوا يتعرضون له مـن خوف ووحشة الطريق وقطّاع الطرق ويروي لي ذات مرة وهو يشير رحمه ا إلى حنجرته ويقول: هل تدرون أن هذه الجوزة (الحنجرة) وهذه الرقبة مدّت للذبح ذات مرة ورفع عنهـا السكين بفضل من ا ونعمته فيروي ذلك: فيقول: كنت في العشرين من عمري وأنا أرافـق عمي تركي قاسم عراجي في رحلات تجارة القمح إلى الجولان وكانوا يسلكون الطريق مـن برالياس عبر جب جنين فالقرعون فبلدتا سحمر ويحمر مروراً ببلدتي قلاّية وزلاية ثم إمتداداً في عمق الجنوب حتى كفرشوبا ثم شبعا وكانت المرحومة أمينة إبراهيم عراجـي إبنـة عـم والدي متزوجة شخصاً من وجهاء بيت ماضي ثم يسلكون طريـق الحولـة ومـزارع شـبعا صعوداً حتى هضبة الجولان، وكان والدي يحفظ هذه الطريق عن ظاهر قلب، حيث أنه سبق لجدي محمد قاسم عراجي أن إختبأ في شبعا لحوالي السنة على أثر مطاردة القوات التركية له بسبب إطلاقه النار على أخيه أحمد قاسم عراجي وأصابته إصابة مباشرة في رجله، ثم لم يسلّم نفسه وتوارى إلى شبعا وكان والدي يطل بزيارات متعددة إلى شبعا ناقلاً لـه أخبـار البلـدة ومحاولات الصلح مع أخيه أحمد ويزوده بكل ما يلزم، إلى أن تمّت المصالحة وعاد من شبعا.

وهكذا ورغم أنه كان يحفظ هذه الطريق ذات مرة هو وعمه تركي وهما متجهان إلى الجولان، وقعا في قبضة عصابة من هذه العصابات قبل حلول الظلام بقليل، فسلبوهم كل مـا يملكون من الخيل والدواب والمال والطعام، حتى أنهم نزعوا عنهم ثيابهم مـا عـدا السـترة الداخلية، ثم تقدّم أحدهم وهو يستل خنجره ثم يطرح به على الأرض وآخر يرمي بعمه تركي للذبح، وقبل أن تنزل السكين على رقبة والدي وهو يستغيث بهم ويقول: أخذتم مالنا فاتركونـا لوجه ا !!! الأمر الذي ألهم أحدهم وبفضل ا فسحب السكين من يد رفيقه وقال لهم: كفى!! اتركوهم وشأنهم يكفي ما أخذناه منهم، وانطلقوا مسرعين.

عند ذلك وبعد ساعات وقد هدأ روع والدي وعمه تركي، قاما معاً يلتمسان الطريـق إلى بلدة غير بعيدة عنهما فيعبران نهراً صغيراً وهما يرتجفان من البرد، ثم يسـيران مسـافة ساعتين أو أكثر حتى يلامسا مشارف هذه البلدة، وخوفاً من أن يراهما النـاس بهـذه الحالـة المخيفة آويا إلى تنّور مهجور، في عتمة دامسة، حتى أدركا وجه الفجر فانطلقا إلـى منـزل رجل وجيه في تلك المنطقة يعرفانه جيداً ثم دخلا في جيرته (في حماه) يخبرانه عما حصـل لهما وكان يسمى "أدهم خنجر" فأنزلهما منزلاً حسناً ودعا لهما بثياب يلبسانه ثم دعـا رجالـه على مسمع من والدي وهو يقول لهم: إنتشروا في كل هذه المنطقة فاجمعوا كـل المسـلحين وقطاع الطرق وأحضروهم إلى هنا، وهكذا كان وما هي إلا ساعات وقد عادوا ومعهـم شـلّة

كبيرة من هؤلاء المشلحين فقال لهم "أدهم خنجر" إعلموا أن هذين الشابين من عائلـة كريمـة أحترمها وأجلّها، وإنهما في حمايّ وجيرتي واعلموا أيضاً أن كل الصيدات السـابقة لكـم، إلا هذه الصيدة فهي لي. فانطلقوا يتشاورون وهم لا يستطيعون إغضابه وعـادوا بعـد سـاعات ومعهم كل ما سلبوه منهم: الخيل والدواب والمال وحتى الثياب. وهكذا باتوا تلك الليلة بضيافة "أدهم خنجر" ثم استأذنوه في الصباح الباكر منطلقين إلى مقصدهم في الجولان.

وهكذا دامت رحلاتهم طوال فترة المجاعة وكان المرحوم جدي تركي قاسم عراجـي تستهويه هذه الرحلات الطويلة سواء كانت للتجارة كما وصفنا أو حتى للنقاهة وشم الهواء وقد ‘عرف عنه أنه (أدركته أنا من ابن عشرين حتى الأربعين، وعمر ما يزيد على المئة سـنة) كان يذهب في سفرته إلى الجولان أو الجزيرة العربية ثم لا يعود بأقل من سـنة فقـالوا: إن تركي يذهب بالفرس ويعود بالفرس وابنتها (حمل الفرس أحد عشر شهراً) أو يذهب مع زرع البطيخ مثلاً ثم يعود مع جني محصوله إلا أنه وفي أواخر حياته إستقر في منزولـه وديوانـه وعلى قهوته المرة، وكان هذا المنزول مأوى لكل الناس، العامة منهم والخاصة وحتى عابري السبيل، يسهرون وينامون ويأكلون ويشربون.

وكان رحمه ا كريماً إلى أقصى حدّ، وقد رأيته بعيني وهو يقتطع كل ليلة نصـف عشائه ويضعه في خرستانه (خزانة) في جدار المنزول وهو يقول: لعل طارقاً يطرق بابنا في آخر ليله فنأويه ونطعمه دون أن نزعج أهل البيت في أواخر الليل وكان المنزول يبعد بضعة أمتار عن سكن العائلة وأذكر أن أصابعه وخاصة اليمنى منها كانت قد تقوقعت قلـيلاً (أي لا تنفرج كاملاً) وذلك لكثرة حمله ملقط الفحم وترتيب النار في وسط المنقل.

وظل على هذه الحالة حتى وافته المنية فانتقل الديوان إلى منزل ابنه "أبـو عفـاش" ناشد تركي عراجي، وكان خير خلف لخير سلف فحافظ على هذا التـراث أحسـن محافظـة وكانت لا تزال مضافته مفتوحة ليلاً ونهاراً ويشرب قهوته القاصي والداني وإذا نظرت فـي زاوية هذا الديوان وجدت الأراكيل مجلّسه فيه يزيد عددها على العشرين أركيلة، وهو يرتـب بنفسه الأراكيل لضيوفه ويعمّرها الواحدة تلوى الأخرى كما يعال قهوته (العريجية) أيما تعليل، ثم كان يهوى دق الرباب ويغني عليه قصائد "أبو شهاب"، ويؤسفني وأنا أعكف على كتابة هذه السطور (2001/1/12) أن يدخل "أبو عفاش" إلى المستشفى في حالة صعبة وحرجة ثم يرقد في العناية الفائقة على أثر جلطة في الدماغ قد تودي بحياتـه عـن عمـر ينـاهز الخامسـة والثمانين، سائلاً ا عز وجلّ له الشفاء العاجل.

وعودة إلى تاريخ المرحوم عمر عراجي إبن حسين الأول وشقيق الحاج ضاهر فقد عُرف عن أخيه ضاهر كل الأخلاق الفاضلة والطيبة وكان كريماً ومتديناً وحجّ إلى بيت الله الحرام وعُرف من حينه بالحاج ضاهر، وكان صاحب أراضٍ واسعة وقد عُرف بحبه للزراعة وهكذا كان ابنه الوحيد من بعد حسين الحاج "أبو رضا" محباً للناس وكريماً وعفوفاً وقد ضُرب المثل بأخلاقه وطيبته حتى أن المرابعين كانوا يتسابقون للخدمة في بيته وزراعته، وكانت مواسمه أيام الحصاد والبيادر مميزة للغاية بكثرة خيراتها ووفرتها حتى قيل: "تلك بيادر حسين الحاج".

أما المرحوم عمر عراجي فكان وريث أبيه في الرياسة والزعامة وأنه صاحب الديوان والمضافة، وقد رأينا كيف احتكم الحاج ضاهر وعمر إلى إبراهيم محمد عراجي لتقسيم الميراث فيما بينهما فكانت قسمته، وقد رضيا بها كل الرضى وهي ثلث للحاج ضاهر وثلث لعمر وثلث لصاحب الزعامة وهكذا كان النصيبان من حظ عمر، وكان ذا أخلاق رفيعة وصفات حميدة وكما وصفه سعد الدين عراجي أنه لا يترك فرض صلاة وكان دائماً يخاف الله رب العالمين.

ويتعاون مع أبناء عمومته قاسم وإبراهيم في كل المجالات، وخاصة في سياسة البلدة. وقد شهدت في حينه صراعاً كبيراً حيث حاول المرحوم رشيد الحشيمي (أبو ناظم) وكان رجلاً متعلماً ويطمح إلى الزعامة وكان يشغل وظيفة مهمة في الدولة كمدعي عام أو ما شابه ذلك، وكان يحاول من وقت لآخر السعي لوصول مرامه فيصطدم بالتفاف قاسم وإبراهيم وعمر عراجي في وجهه، وكان يناصره في حينه أكبر الملاكين والأغنياء من أهل برالياس محمد الهندي الملقب بأبو صفايا الأمر الذي انتهى به إلى بيع أراضيه أولاً بأول ثم الإنتقال من برالياس إلى زحلة، وقد اشترى القسم الأكبر من هذه الأراضي المرحوم إبراهيم محمد عراجي.

كما أن عمر كان متعلماً وقد حصل على وظائف مميزة إبان العهد التركي ومنها ما يشبه وظيفة "المستنطق" حالياً وقد مارسها لسنين طويلة، ثم توفي عمر عراجي فترك الزعامة في ابنيه محمود وحسين، فكان لكل منهما منزوله وديوانه الخاص.

أما المرحوم حسين عمر عراجي "أبو شئيم" فقد اشتهر بأخلاقه الحميدة والفاضلة وصاحب المنزول والمضافة وقد أحبه الناس كثيراً حتى أرغموه على انتخابه مختاراً للبلدة

على مدى أربعين سنة متتالية (من حدود العام 1915 حتى العام 1955 حيث تولاهـا وحيـد الدين ابن محمود) وكانت هذه المخترة سابقاً وعلى مدى أجيال طويلة لا تستهوي بيت عراجي نهائياً وقد تركوها فيما مضى لأهالي البلدة وقد اختاروا لها هم أشخاصاً من أهل البلدة فكـان أول المختارين رجلاً من عائلة آل الصاروط لسنوات عديدة ثم بعدها رجلاً من آل الحايك ثـم بعدها من أهل البلدة المسيحيين وهو المختار إبراهيم موسى القاضي لسنوات طويلـة، حتـى عهد أبو شئيم حسين عمر عراجي ومما يذكر ولحسن الطرفة أن خاتم المختار وكـان يبقـى دائماً بحوزة المرحوم "أبو خليل" أحمد عمر عراجي لأن المختار في حينه كان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب فيذهب الناس إلى دار"أبو خليل" ليختموا على معاملاتهم، وهكذا أجمع أهالي البلدة على اختيار حسين عمر عراجي مختاراً للبلدة وبقي فيها زهاء أربعين سنة متتالية نافسه عليها فيما بعد ابن أخيه وحيد الدين محمود عمر عراجي وحظي بها بالعام 1955م.

وهكذا كان المرحوم حسين عمر عراجي صاحب المنزول والضيافة وبيت المختـار المفتوح للناس على مدى سنوات طويلة، أحبه الناس كثيراً وأحبهم كثيـراً وُضـرب المثـل بمعاملته الطيبة، وكان ُيحسن إلى الناس كثيراً، حتى ُعرف عنه أنه كان يعير عمّالتـه (أي الثيران المخصصة للفلاحة) لمعظم أقاربه وحتى أهالي البلـدة دون مقابـل وكانـت تجمعـه علاقات طيبة مع أقاربه ويتقاسمون السراء والضراء فيما بينهم، ويلتحمـون عنـد الشـدائد، وكانت علاقاته وطيدة وجيدة مع الأتراك ثم مع الفرنسيين وكان يفـرض وجـوده فـي كـل المحافل.

وقد توفي في العام 1955م عن عمر يناهز الستين تاركاً منزوله ومضافته لتنتقل بأمانة لإبنـه الوحيد الأستاذ شئيم عراجي وقد تلقى علومه في القاهرة (ويكون رحمه ا والـداً لزوجتـي) وهكذا جدد المرحوم أبو حسين شئيم الديوان والمضافة وتعاطى في السياسـة علـى أشـدها وترشح للإنتخابات النيابية عن المقعد السني في منطقة البقاع ولم يحالفه الحظ وقـد صـرف أموالاً طائلة في سبيل السياسة. وكانت تهمه وحدة العائلة وكرامتها وسمعتها وغالباً ما سـعى إلى وحدتها، وكان على أفضل الصلات والعلاقات بأقاربه وبأهالي البلدة ثم هو ورث عن أبيه إقامة "ذكرى نصف شعبان" في منزله وهي مناسبة إسلامية عزيزة كان يقيمها والـده حسـين عمر عراجي ويجمع إليها أهل البلدة مسلمين ومسيحيين وقد حافظ المرحوم الأستاذ شئيم على هذه الذكرى طوال حياته، فكان يجتمع في داره عموم أهالي البلدة في احتفال مهيب تتلى فيـه آيات الذكر الحكيم والمواعظ الحسنة ثم توزّع الحلوى على الناس إحتفاء بهذه الـذكرى وداوم علـى

هذه الذكرى حتى وافته المنية عن عمر يناهز الخامسة والخمسين وكانت وفاته في العام 1970م، متخلفاً بإبنيه حسين ونسيم وببنات خمس كبراهن زوجتي حسانة شئيم عراجي.

كما أننا في هذا الصدد لا ننسى ذكر المرحوم محمد عمر عراجي شقيق المرحوم حسين عمر عراجي وكان فارساً مقداماً وشجاعاً وقد خدم في العسكرية التركية والعسكرية الفرنسية فترة طويلة من الزمن وكان خيالاً مشهوراً تشهد له ساحة الميدان والفروسية في برالياس وخارج برالياس وقد ،عرف عنه شهرته برمي الرمح والتعليم بالسيف وكذلك رمي "الرجيدي" حتى أن رميته كانت تمر ما بين الفارس وسرجه وهذا ما حصل مع أخيه أبو شئيم في إحدى المناسبات، وكان أبو شئيم خيالاً ولكن لم يصل إلى فروسية أبو عمر فكان أن حاول أبو شئيم التعليم على محمد فما كان منه إلا أن رماه "برمية رجيدي" بعد أن صاح له ليأخذ حذره، فرفع أبو شئيم هامته عن السرج فاخترقت الرجيدي ما بين ساقيه والسرج كالسهم وقال أبو شئيم في حينه "وا لو أصابتني في ظهري لاخترقت من بطني" وكان لهذه الفروسية صداها الكبير وقد اعجب بها كثيراً الشاعر "أبو شهاب" وكان ذا علاقة طيبة مع أبو عمر ويخرجان معاً في بعض المناسبات وكان أبو شهاب يلقبه بـ "أخو عيشه" وهي شقيقة محمد عمر وذلك حباً في مدحه وافتخاراً بفروسيته.

ومما يذكر في هذه المناسبة ما ذكره أبو شهاب وهو في منطقة الجولان في جبل الدروز، وكان يحضر حفلة عرس هناك، وقد حصل ميدان سباق وطراد للخيول على عادة العرب في مناسبات العرس، ويبدو أن أبا شهاب لم يعجبه شكل الفرسان ولا هي أعجبته فروسيتهم فتذكر في هذه اللحظة فروسية أبو عمر محمد عمر عراجي (ولم يكن أبو عمر حاضراً) فصاح أبو شهاب بين الجموع هناك ببيتين من العتابا ذاكراً أبو عمر ويتمنّاه لو كان موجوداً في هذا الميدان فيقول: بعد الـ "أوف"!!:

طبيب ال طب جروحي بريشاي   فتش عن الجرح كأنه بري شاي
ومتى شوفك يا أخو عيشه بريشاي   الصوافن واللي يوقع ما بو رجا

"عيشه هي أخت أبو عمر وزوجة إبراهيم يوسف عراجي وتكون والدة أبو منير – فايز.
وقد ذكر هذا الشعر لأبو عمر بعد عودته وكان يتغنى به من وقت لآخر.

وقال كذلك وفي مناسبة أخرى وهو يذكر محمد عمر:

نبت رمح الرديني من نخلهن   وهواهن سحّن أضلاعي ونخلهن
لجرم العيس يا محمد نخلهن   ومال الطير ودنّالهم الرقاب

وقال كذلك:

عيونِكِ والمِسَنّه مر بيهن	جروحي اللي بقلبي مربيهن	(المسنه: ميل الكحل)
تباركت الديار اللي مربيهن	حبيبي لو نقل رجلو خطى	

ومما يذكر كذلك أن أبو شهاب كان برفقة أبو عمر في وادي زحلة في موسـم مـن مواسـم الصيف وأنهما دخلا إلى وادي زحلة (المعروف حالياً) ليتناولا طعام الغـذاء بعـد أن ربطـا فرسيهما إلى شجرة ودخلا المطعم ويبدو أن صاحب المطعم أو خدامه على الأقل، قد استهانوا واستخفوا بوضعية أبو شهاب وأبو عمر وربما ظنوهما بدويين من العربان فراحـوا يبـدّلون طلبية الطعام، فبدلاً من اللحم مثلاً يأتونهم بالفلافل أو بدلاً من الحمص يأتونهم باللبن وبدلاً من التبولة المشهورة يأتونهم بالسلطة، فنرفز أبو شهاب وطلعت عصـبيته وراح يلتفـت يمينـاً وشمالاً، وقد صادف هذه اللحظة مرور ثلاث فتيات جميلات من فتيات زحلة من أمام طاولـة أبو شهاب وأبو عمر، وكانت إحداهن حاملاً ولكنها آية من الحسن والجمال فصرخ أبو شهاب يقول "أوف" وكان صاحب صوت جميل جداً وخاصة عندما يمده وينغّمه في الغزل حتى ردّت صخور الوادي ونهره بصداها صوت ال "أوف" فاجتمع الناس حوله من كل جانـب تـاركين طعامهم وطاولاتهم وهو يقول في البنات الحسان أمامه:

ناخوا جِمالهنْ ومدوا حِبَلْهن	بكارى وبعدهن بأول حَبَلْهن
أجاد ا قلب اللي حَبَلْهن	شلون تقلبو زيق الثياب

"أي بما معناه: أن الحسان هؤلاء أناخوا الجمال (وكأنهم يركبون جمالاً ثم أقعـدوها) ومـدوا الحبال وهي ما يستعمل للربط على ظهر الجمل، ومنهن عذارى أبكار ومنهن حوامـل ظهـر حملهن إلى الأمام وأعان ا قلب أزواجهم كلما رأوهم، وهم يتفنون في لـبس هـذه الثيـاب الجميلة المخططة. وقد توفي المرحوم أبو عمر في العام 1955م أي بعد شهرين من وفاة أخيه حسين، وقد تخلّف بالأبناء عمر وفهد وكمال وصبحي وخير وفرحان وهاشم وفـوزان، وكلهم أصحاب ديوان والقهوة المرة "العريجية" المعللة.

أما المرحوم محمود عمر عراجي وهو صاحب الديوان والمنـزول الرابـع وشـقيق حسين أبو شئيم فقد كان رجلاً حسن المظهر، جميلاً متألقاً وخاصة عنـدما يتقلـد طربوشـه الأحمر الذي يضفي عليه رونقاً وجمالاً، وكان متعلماً أكثر من باقي إخوته وأقاربه وكان ذكياً إلى أبعد الحدود ذو بصر وبصيرة نافذة، وكان ذا صداقات متعددة وتربطه علاقـات وثيقـة بأهالي المنطقة في زحلة وغيرها، كما كانت له علاقات مميزة وجيدة في أواخر العهد التركي وحكم الفرنسيين وكذلك مروراً بعهد الإستقلال، وقد ربى أولاده تربية حسنة وعلّمهم أحسـن التعليم فكان منهم المختار والمختار والطبيب والمهندس والأديب، كما كان صـاحب أمـلاك وزراعة واسعة، وكان في سِعَة من أمره، وبيته ومضافته مفتوحة للناس ليلاً نهاراً، وقد سعى

جهده في السياسة حتى حصّل المخترة من أخيه حسين إلى إبنه وحيد الدين في العـام 1955م إلى حين وفاته في العام 1957م ثم انتقل بها إلى إبنه المرحوم عادل وقد حافظ عليها سـنوات طويلة ما يزيد على الأربعين عاماً أي حتى العام 1999 ولم يتركها إلا بوفاته في هذا التاريخ.

وكان إبنه الدكتور سليم ثاني طبيب يتخرج في برالياس (مع الـدكتور محمـد علـي السيد) ثم الدكتور عمر من بعده بسنوات أما رشدي فكان مهندساً لامعاً وخطيباً بارعاً وسياسياً معروفاً، تخرّج من الجامعة الأميركية في بيروت ثم سافر للعمل في دمشق والعمل السياسي، فكان مهندساً ناجحاً ومسؤولاً في يوم من الأيام عن مصانع إنتاج السكر في سوريا وقد تزوج من سورية وله أبناء وبنات ولكنه على عادة المهاجرين استقرّ باقي عمره في دمشق وتـوفي فيها.

أما إبنه المرحوم شريف محمود عمر عراجي (أبو فاروق) فقد كان بصـدق شـاعراً وأديباً كبيراً تتلمذ على يد مارون عبود وغيره من الأساتذة المعروفين، وقد نهج نهج التربيـة والتعليم والتحق بمهنة التدريس في وزارة التربية بعد نيله الثانوية العامـة، مخرّجـاً أجيـالاً وأجيالاً متلاحقة وكان من أصحاب النهضة العلمية في برالياس، مثله في ذلك مثل المرحـوم الشيخ يوسف الحشيمي الذي رافقه وعاصره، ولأبي فاروق رحلة طويلة مع الشعر وله ديوان كبير (ما زال مكتوباً ولم يطبع) وفيه أجمل الأشعار لا بل الملاحم، وكلهـا قصـائد سياسـية وتاريخية قالها في مناسبات هامة وكبيرة منها ما هو في محنة فلسطين، ومنها ما هو في محنة لبنان الأخيرة إضافة إلى الأدبيات الأخرى المتنوعة الأبواب.

وتحضرني في هذه المناسبة، مناسبة الأدب والشعر ما كتبته مجلة أدبية تصـدر فـي مدينة "كالكاري" في كندا وهي تعنى بالتراث العربي والأدبي وهي تصدر عن الجمعية العربية الكندية في مدينة كالكاري من ولاية "البرتا" بإسم مجلة "العرزال" وقد صدر في عددها الخاص في يناير من العام 1997 مقال جميل جداً بعنوان "عكاظ اليوم .. برالياس" وأنا أنقل هذا النص بحرفيته وبكل دقة حيث قال المحرر:

هناك يتبادلون الجواهر باللسان .. يتبارون بخوض بحور الشـعر، وعمـق البيـان، وشفافية التبيين، تتناثر العقود قوافي مُرنّات، وقصائد مُرنّات يكلّمون "ليلى" بهمـس الجفـون، ولو كان أمين رشيد نخله حياً لغرف من هناك ما يرضي القريحة، وما يجعل البديهة حاضرة .. وطنيات .. غزل .. نقد .. أدب.

ولبلدة برالياس عراقة لا تتخلى عنها وصفة تلازمها .. فقد كانت في الماضي حومـة الشعراء الذين كانوا يلتقون في "منزول" المرحوم "أبو محمد قاسم عراجي" ومع جرحات أوتار الرباب كانت تُرتجل القصائد .. وتتزين الشروقيات .. بأبيات العتابا .. والإرتجال كان سـيد الموقف .. واليوم في "عقم" الأوضاع العربية والحدود الإقليمية والحـواجز الثابتـة، وأيضـاً المتنقلة حسب التحاربات والمصالحات، كان لا بد للأدباء العرب وكبار الشعراء من العبـور، ولو كان العبور على بلاغة مقال، أو متن سجال، أو طيف خيال ..

وهكذا وجدوا ضالتهم المنشودة في برالياس-البقاع-لبنان .. فانتقل الشعراء من كـل ناحية وصوب ليلتقوا في "المنزول" الجديد .. ولكن رواد هذه المرة غير الحاروفي وأبو شهاب وحميدان النشواع وراغب الزهر وأبو قيصر .. كذلك الحاج علي الزين ومحمد محمود الزين ومتعب البصري وغيرهم .. وصاحب "المنزول" أو المنتدى هو الشاعرالجهبز والأديب الفـذ الأستاذ شريف محمود عراجي .. أستاذ أجيال بقاعية، نهلت من ينابيعه الغزيرة فكراً وأدبـاً، وكذلك العلم والأخلاق .. وتأخذنا الحيرة شاعر بهذه البلاغة، يكره الأضـواء ..! ولا يبخـل على ناسه وعربه وطلابه بوقت ..

ولد الشاعر الأستاذ شريف محمود عراجي عام 1918 أميناً على سمعة البيت الـذي رباه، والعائلة التي أنجبته، ودخل مدرسة الحكمة في بيروت، فتتلمذ علـى الأديـب الراحـل مارون عبود وغرف من دوحة علم بطرس البستاني، ثم انتقل إلى الجامعة الوطنية في عاليه، ومنها إلى الجامعة الأميركية في بيروت. وكان بإمكانه أن يصل إلى أعلـى المناصـب فـي الدولة، ولكنه للأمانة نذكر أنه أحب التعليم وتربية الناشـئة والأجيـال الواعـدة فـي بلدتـه ومحيطها، لأنه عاش الإهمال الرسمي لمنطقة البقاع .. واختار هذا الطريق ربما ليفجر الثورة المتأججة في نفسه، ولاقتناعه بدور المعلم والمدرسة في مجال العلم والتربية الوطنية، ربمـا، فكان مديراً للتكميلية الرسمية في برالياس، فرافقها ورافقته، رافضاً مناصب حكومية عرضت عليه.

و"العرزال" بالمناسبة تنشر قصيدة الشاعر شريف عراجي، وليس المهم كم سنة مرّت على تأليفها .. بل المهم الحالة الحاضرة التي تصورها قصيدة شاعر أصدق تصوير .. ننشر القصيدة بانتظار ما سيصلنا .. لتساهم "العرزال" في الحياة الأدبية العربية .. العابرة .. لـيس للقارات، بل للحدود والسدود .. ومخافر الجوازات:

القصيدة: **"إ ا هاد لتحرير القدس"**

القدس ناءتْ بأعباء الصهايينا   تبكي حداداً على أمجاد حِطّينا
تلقى هواناً وعارُ الخزي منتصبٌ   في موطن النور نبراسُ النبيينا

مِعراجُ أحمد قد ديست معالمهُ   والمهدُ أمسى أسير الذلّ مرهونا
يا للفضيحة إن خارتْ عزائمُنا   يا للمذلةِ إن عِفنا أراضينا

إن الطغاة شنارٌ في مرابضنا   إن الغزاة ذئابٌ في فلسطينا[1]

إن أزرَ الشر "جونسون" فلا عجبٌ   من كافرٍ شذ عن آيات بارينا[2]
لا نخشى هذا ولا نخشى مكائده   ا أكبر فادعوه يلبينا

نص الكتابُ كتابُ ا ـِ عن ثقة   لا مؤمناً بات في دنياه مغبونا
إن عشنا عشنا كراماً في مواطننا   أو متنا "عشنا" فنعم الدار تأوينا *

قرآن أحمدُ في آياته عبرٌ   للمجد للعز للفردوس يدعونا
إنجيل عيسى وفي طياته عظةٌ   لما دعانا ونادى في تآخينا

إن الشهادة نورُ ا فاقتبسوا   نور الشهادة من شام إلى سينا
إبناء دِجلة والأمجادُ شيمتهم   للثأر سلّوا شفار السيف مسنونا

والمارد الفذ ما لانت شكيمتُه   درسُ الجهاد بعزم الصبر يعطينا[3]
والأبلق الفرد لبنانُ بلا وهنٍ   ما زال بالعلم راعينا وحامينا

يكفيه مجد وأرز الخلد يحرسه   صان الآله مدى الأزمان صنينا
الموت حقٌ ولا يخشى مغبته   إلا الجبانُ ومن بالعار يرمينا

1- شنار: عار.   2- جونسون: الرئيس الأميركي الأسبق.

3- المارد والفذ: الرئيس الراحل عبد الناصر.

* إشارة إلى آية الإستشهاد في القرآن الكريم (الشهيد لا يموت)

كونوا جميعاً صلاحاً في عقيدتكم ما زال ذكر صلاح في نوادينا[1]
أو مثل خالدَ والساحاتُ تذكره بالقائد الفذ في تاريخ ماضينا[2]

عودوا إلى طارق صونوا رسالته من سدرة المجد غضبانا ينادينا[3]
هيا إلى النصر أبطالاً غطارفةٍ هيا إلى المجد عقباناً شواهينا

وليس هذا غريب عن عقائدنا وليس هذا بعيد عن مبادينا
مهما ظلامُ الدجا أرخى ستائره لا بد للفجر بالأنوار يأتينا

والآن وعودة على بدء وإن كان لا بد لنا أن ننهي هذا الكتاب وهذا التراث بفصل هام وأمين وبرجل أحيا تراث هذه العائلة من جديد ولأربعين سنة جديدة خلت، أحيا فيـه تـراث وأمجاد محمد أفندي عراجي والشيخ قاسم عراجي، كرماً وعراقة وشهامة وأصالة، وتاريخـاً، ومجداً، ملأ الدنيا والمحيط شهرة وعزاً وكان بحق علماً من أعلام هـذه العائلـة المتـأخرين والمجددين ألا وهو المرحوم والمغفور له فوزي محمد قاسم محمد أفندي عراجي.

ولد المرحوم فوزي عراجي في العام 1916 وتوفي في العام 1982 عن عمر ينـاهز السادسة والستين، أمضاها بتاريخ حافل من العزة والمجد، كان متوسطاً في العلم ألا أنه كـان قوي البصر والبصيرة، بعيد النظر، ينظر إلى الأمور عن بعد ويستشف معالمها فيعرف أيـن يضع قدمه بسلام، وقد تحلّى بأفضل الصفات وهي الخلق الحسن والكرم وبسط اليد، وقد نهج بذلك نهج المرحوم جده قاسم عراجي، فكان منزوله عامراً ومضافته مفتوحة ليلاً نهاراً، تعـج بالضيوف والزائرين على مختلف أشكالهم وألوانهم من العامة والخاصـة وأربـاب السياسـة وأصحاب المناصب الكبيرة في الدولة من رؤساء جمهورية ورؤساء وزارة إلى وزراء ونواب وحكام وسياسيين ومفتين كباراً وصغاراً (مفتي الجمهورية اللبنانية وغيره)، وآخرين مستقلين من ذوي الشأن الإجتماعي الكبير أمثال هنري فرعون وغيره.

1- صلاح: صلاح الدين الأيوبي.
2- خالد: يعني خالد بن الوليد.
3- طارق: يعني طارق بن زياد

بدأ حياته السياسية والإجتماعة بزخم كبير وهو إبن سبعة وعشرين عاماً (كـان ذلـك عام الإستقلال عام 1943)، فجمع أهله وأقاربه وأصدقاءه بما يزيد عن مئة خيّـال وتوجهـوا إلى بيروت عشية الإستقلال ليبايعوا الرئيسين بشاره الخوري ورياض الصلح ويقدموا التهاني لهما بهذه الذكرى العظيمة، ومن هناك بدأت أحلام فوزي عراجي تتحقق أولاً بأول.

فبعد سنة من هذا التاريخ تقريباً، قام الرئيس بشاره الخوري يرافقه في حينـه سـامي الصلح (ابن عم دولة الرئيس رياض الصلح والذي أصبح من بعـد كـذلك رئيسـاً لمجلـس الوزراء) قام بزيارة لبعض زعماء وعائلات البقاع وخصّ بهذا التكريم آل حماده في الهرمل وآل عراجي في برالياس، وقد حصلت بعض الحساسيات في العائلة علـى كيفيـة إسـتقبال الرئيس بشاره الخوري، كيف وأين وفي منزول من ؟؟

فاستدرك الأمر فوزي عراجي واجتمع بكل أطراف العائلة وتفاهم معهم على أن يقـام الإحتفال في منزل المرحوم محمد سليم عراجي لقربه من الطريق العام الذي كان يشيّده علـى مقربة من طريق الشام (منزل خالد فاضل اليوم على بعد 150م من طريق الشام) وكان البناء لا يزال على العظم فجمعوا السجاد من بيوت العائلة وعلّقوه علـى الجـدران مـن الـداخل والخارج وزيّنوا الدار من كل جهاتها، ثم أشار أحدهم بفلش خط من "الرماد" من بوابة الـدار على الجانبين وحتى طريق الشام، ثم يصبّ عليه المازوت وتضرم فيه النـار عنـد وصـول الموكب وهكذا كان واستعانوا في حينه بواسطة الطنابر ومدّوا الرماد حتى الطريـق العـام، وكان وصول الرئيس بشاره الخوري إلى برالياس مساءاً، فأشعلت الزينـة وكانـت سـاحرة وجميلة للغاية ونحرت الخراف والذبائح وأقيمت المناسف وشرب الرئيس بشاره الخوري قهوة بيت عراجي المرّة وسر سروراً كبيراً على هذه الحفاوة البالغة.

وبعد فترة وجيزة من الزمن ونتيجة للعمل الدؤوب والملاحقات والزيارات التي كـان يقوم بها المرحوم فوزي والإتصالات الرسمية المكثفة استدعي إلى بيروت وعيّن أول رئـيس بلدية في برالياس في العام 1945 (بموجب مرسوم أو قرار مجلس الوزراء).

ومن هنا بدأت رحلة فوزي عراجي الطويلة فاستمر رئيساً لبلديـة براليـاس لثمانيـة وعشرين عاماً متتالية فتولاها على أثر ذلك الأستاذ والمحامي زين العابدين إبراهيم عراجـي لمدة سنتين فقط واستطاع فوزي بعدها من حلّ البلدية برئيسها وأعضائها بقرار مـن وزيـر الداخلية، وتولى هو وحده وبدون مجلس بلدي مهمات هذه البلدية وبطريقة غير شـرعية، أو

رسمية وذلك بالإتفاق مع محافظ البقاع (الذي أصبح قائماً بأعمال البلدية وفقاً للقانون)، فكـان يدير أمور البلدية كلها تماماً كأي رئيس بلدية شرعي واستمر في ذلك حتى العام 1982 حيث وافته المنية.

أما إنجازاته في بلدته برالياس فكانت كبيرة وهامة جداً، بحيث يعجز عـن تحقيقهـا وزراء ونواب مهما بلغ شأنهم، وكانت باكورة أعماله، بعد تعيينه رئيساً للبلديـة هـي شـق الطريق الرئيسة في بلدة برالياس (كورنيش البلدة حالياً) الذي يتوسط البلدة ممتداً من طريـق الشام بالتفاف دائري حول البلدة وتأهيله وتعبيده، مخترقاً بعض الأمـلاك الخاصـة للعائلـة (أرض الدك لبيت إبراهيم عراجي) وهو أول طريق في برالياس يؤهل على هـذه الصـورة، حيث كانت البلدة تسبح في بحر من الوحول شتاءً وينتقل الناس على الدواب والخيول وكنـت أسمع من المرحوم والدي أنه عندما كان 'يطلب أي طبيب من زحلة أو قب الياس (الطبيبـان المعروفان أبو سليمان من زحلة وجودت قزعون من قب الياس) لمعالجـة مـريض، فكـان الطبيب يصل إلى طريق الشام حيث مدخل البلدة بواسطة عربة "الكارو أو الـدليجانس" التـي كانت تجرّها الخيول ويستعملها الميسورون للتنقل بين زحلة وبيروت والشام، كانت تصل إلى مدخل البلدة ثم 'يحمل الطبيب على فرس معدّة له سلفاً وينتقل إلى بيت المـريض لمعاينتـه، وهكذا كانت المعاناة الشديدة.

واستمر فوزي عراجي بمهماته مركّزاً على هذه الخدمات العامة ويؤمن لها الأرصدة اللازمة عبر مساعيه وعلاقاته المميزة مع أركان الدولة، حيث أنه وفي ذلك الزمن العصـيب لم تكن أي بلدية تعرف الواردات أو الموارد الذاتية كما نشهده اليوم من ضـرائب وجبايـات وكان الأمر يتعلّق بشخص رئيس البلدية ومقدرته، وكان العمل الثاني والجبار هو إسـتخراج مياه الشفة من بئر إرتوازي حفرت على بيادر النهر (بمحاذاة ثانوية برالياس اليوم- ولا يزال البئر وغرفته قائماً) بعمق 150م استخرج منه 5 إنش من المياه الصالحة للشـرب ووزعـت قساطل المياه في البلدة وانشئ خزان ضخم لتخزين المياه على تل برالياس، ووزعـت بـذلك مياه الشرب على مراكز توزيع 'سمّيت "السبيل" في كل الأحياء والطرقات وبين المنازل حيث يتجمع الأهالي على تعبئة الماء بالجرار لفترتين، فترة صباحية وفترة مسائية بحـدود ثـلاث ساعات لكل فترة وقد أنشئ مشروع الري هذا بمساعي وزارة الموارد المائية وما يسمّى بالـ "النقطة الرابعة" وهي منظمات دولية على غرار منظمة "اليونيسف اليوم".

وكان أهالي البلدة يشربون المياه ويستخدمونها لحاجاتهم عبر جلبها على ظهر الدواب من دوار الليطاني القريب من البلدة أو من نهر الغزيّل الذي يمـرّ علـى أطـراف البلـدة، ويشربونها على علاّتها من الجراثيم والأمراض والوحول واستمر الحال كذلك لسنوات طويلة حتى تمكّن فوزي عراجي من إنجاز أهم من ذلك، بحيث حقق جلب المياه للبلدة مـن أفضـل ينابيع البقاع وهو نبع شمسين المعروف حالياً بمحاذاة الجبل في منطقة عنجر وأنشئت لجنـة إقليمية إستفادت منها خمسة وسبعون بلدة في محافظة البقاع، وهكذا تمّ جرّ المياه إلى المنازل والبيوت ونَعِم الناس بالراحة بعد طول العناء.

وللتاريخ نذكر أن لجنة المياه هذه كانت تتبع عادة وفي كل بلدة لرئيس البلدية مباشرة وتشكّل جزءاً من مهماته فلما خسر البلدية فوزي عراجي للسنتين المـذكورتين سـابقاً، بـذل أقصى الجهود لفصل هذه اللجنة عن البلدية ورئيسها وجعل منها مصلحة مياه خاصة ترأسـها لأكثر من عشرين عاماً حتى أنشأت الدولة مصلحة مياه شمسين وجمعت إليها ميـاه القـرى كلها.

أما الإنجاز المهم كذلك فكان إدخال الكهرباء إلى برالياس وإنارة البلدة والـذي كـان حلماً يراود مخيلة الناس فكانت بلدة برالياس وبعد زحلة مباشرة أول بلدة تنيرهـا الكهربـاء وعممت على عموم البلدة في أقل من سنة وأنيرت بعض الشوارع الرئيسـية واسـتتبع ذلـك إستحداث هاتف وسنترال نصف آلي شكّل في وقتها قفزة نوعية في تطور البلدة.

ثم استتبع ذلك شق شبكة الطرق الداخلية حيث توزّعت على كافة الأحياء و'ربطـت بعضها ببعض على أفضل وجه وأنشئت مدرسة المعارف الرسمية التي تولى مهماتها المرحوم شريف محمود عراجي لسنوات طويلة، في حين كانت المدارس في برالياس قبلهـا مقتصـرة على المدارس الخاصة، وعلى وجه التحديد "مدرسة الإخوة الوطنية" التـي أنشـأها وأسسـها المرحوم الشيخ يوسف الحشيمي وكانت بحق رأس الحربة في نهضة برالياس العلمية والتـي خرّجت فيما بعد طلاباً غدوا أطباء ومحامين ومهندسين وأساتذة، هـذا إضـافة إلـى بعـض المدارس الصغيرة كمدرسة الأسقفية المسيحية ومدرسة الشيخ حسن والشيخ أحمد ياسين.

وهكذا استمر عطاء المرحوم فوزي عراجي وخدماته لبلدته على مدى أربعين عامـاً متواصلة لم يعرف الكلال أو الملل ويذكر الناس ويذكر التاريخ والعارفون أنه مـا مـن يـوم تشرق فيه شمس إلا وفوزي عراجي يدخل فيه سرايا زحلة أو وزارة الداخلية في بيـروت أو

بعض وزارات الخدمات الأخرى، ثم يعود لتوه من مسائه وليله يستقبل الناس فـي منزولـه ومضافته ليسمع من هذا ويسمع من ذاك ويخطط معهم من يومه لغده، حتى أن هذه الدار التي عرفت فيما بعد "بالدار الصفراء" كانت ولا تزال دار العز والكرامـة والضـيافة ومجـالس السياسة والتي شهدت غرفها وقاعاتها المآدب الكبيرة والولائم العظيمـة والـذبائح النفيسـة، والمناسف العامرة وعلى رأسهم رؤساء جمهورية كالرئيس كميل شمعون والـرئيس سـليمان فرنجيه ورؤساء حكومات كالرئيس سامي الصلح والرئيس تقي الدين الصلح والرئيس رشـيد كرامي ووزراء كبار من أركان الإستقلال أمثال الأمير مجيد ارسلان وكانت تربطـه علاقـة خاصة ومميزة بالمرحوم فوزي عراجي وكان هاوياً للخيول الأصيلة، وقد وجد ضالّته عنـد فوزي عراجي، فكان يتردد مرة ومرتين في الشهر أحياناً لتيفرج على الخيول، وقد خصصوه ببعض مرابط الخيل التي كان يرسلها لهم من معقله في المجيدية وحاصـبيا وميـدان سـباق بيروت، وقد استمرت هذه العلاقة مع الأمير مجيد ارسلان حتى وفاته ومن بعده إبنه الأميـر طلال، حتى أن الداخل اليوم على باحة الصالون الكبير في "الدار الصفراء" يرى صور الأمير مجيد تملأ الجدران مع هذه الفرس ومع تلك المهرة ومع ذلك الحصان.

ونتيجة لتعلّق المرحوم فوزي عراجي وإخوته بالخيول الأصيلة، واحتفاظهم بالرسـن "المعنقية" رسن العائلة الشهير منذ قدومهم من الحجاز، كان أكبر مربيي الخيول مـن لبنـان وسوريا والجزيرة العربية يفدون إلى دار فوزي عراجي ليتفرجوا على هذه الأصايل ومـنهم من يشارك ومنهم من يشتري مفتخراً بنفسه أنه حصل على خيل عربية أصـيلة مـن بيـت عراجي.

وهكذا كانت العلاقات مع السيد هنري فرعون الـزعيم الروحـي (والـيس الـديني) للكاثوليك في لبنان وكانت تربطه بفوزي عراجي علاقات حميمة ووطيدة وسياسية كبيرة يلتقي في محورها الياس طعمه سكاف والد جوزف سكاف ومن بعده إبنه جوزف سـكاف وقريبـه جان السكاف حيث كان هنري فرعون بمثابة الأب لهذه الطائفة في زحلة، وقد ترشح هنـري فرعون للإنتخابات النيابية عن منطقة البقاع وفاز بالنيابة في حينه وكان فوزي عراجي مـن أكبر مناصريه ومؤيديه، وهذا ما حصل كذلك مع دولة الرئيس تقي الدين الصلح الذي ترشـح عن المقعد السنيّ في البقاع وكانت دائرة واحدة من القرعون حتى الهرمـل وكـان لفـوزي عراجي دوراً كبيراً في ذلك.

واستمرت العلاقات طيبة ومثمرة مع الرئيس تقي الدين الصلح وحتى بعد وفاة المرحوم فوزي عراجي فكانت الزيارات تتمّ من وقت لآخر وكان لي شخصياً شرف الإجتماع به أكثر من مرة وفي منزله بمنطقة القنطاري وبرفقة "العم" العزيز أبو فايز محمد عراجي، وكنا نتبادل معه أحاديث السياسة، والحرب الأهلية اللبنانية والتي كان يساهم مع باقي الزعماء الوطنيين في إخمادها وقد توفي في وسط معمعتها ولم يدرك السلام، وفي آخر لقاء معه وكان ذلك بمناسبة زواج لإبن عم لي هو السيد مايز فايز عراجي وكان هو نفسه وكيلاً للعروس حيث تمّ عقد القران بوكالته وفي جوّ عائلي صغير، وكان يبدي في حينه تشاؤمه الكبير حيال الأحداث اللبنانية، ومن موقعه السياسي حيث كان يشارك في اجتماعات ومؤتمرات لحلحلة الوضع اللبناني وقد شبّه لنا الوضع في حينه بـ "نفق مظلم وطويل ولا يوجد فيه حتى "النواصة" مشيراً إلى بالغ يأسه من وجود حلّ ما!!" وقد زرناه مرة أخرى في منزله بالقنطاري وبحضور زوجته ثم ما لبث أن فارق الحياة بعدها بأشهر.

وبالعودة إلى موضوع الخيول والعلاقات مع هنري فرعون فقد استمر هذا الأخير على أفضل العلاقات مع فوزي عراجي ومع إخوته من بعد وفاته وكذلك كانت الزيارات تتمّ من وقت لآخر وكنت أشارك شخصياً في هذه اللقاءات حتى خلال فترة الأحداث الدامية وكنا نزوره في قصره المشهور بقصر ومتحف فرعون، وكان يشتري أفضل الخيول من عند المرحوم فوزي عراجي ويشارك كذلك ببعضها مما يعرف بشراكة "المربي" وهكذا كانت للمرحوم فوزي وعمومتي الآخرين إصطبلات للخيول في بيروت، ونادراً ما كان يمر سباق السبت أو الأحد إلا وعندهم خيول تركض في السبق وقد تمثل المرحوم فوزي بلجنة سباق بيروت وكان عضواً بارزاً فيها حتى وفاته.

وهكذا كانت علاقة المرحوم فوزي مع الرئيس كميل شمعون في عهد رئاسته ومن بعد ذلك وكانت آخر زيارة لشمعون إلى منزل فوزي عراجي في العام 1974 وقبيل نشوء الأحداث الدامية وكان شمعون عضواً في هذه الوزارة وقد تناول الغذاء في منزل فوزي عراجي مع وفد خاص من كبار أصحاب شمعون وقد أخذت بنفسي بعض الصور التذكارية لهذه المناسبة ولا تزال موجودة للآن.

أما علاقته مع الرئيس سليمان فرنجيه فقديمة جداً وقبل أن يكون هذا الأخير نائباً ثم رئيساً ويعود ذلك إلى الأحداث العائلية التي حصلت مع سليمان فرنجيه في منطقته والتي عرفت من بعد "بحادثة مزيارة" والتي راح ضحيتها الكثيرون وقد فرّ سليمان فرنجيه من

شمال لبنان ليصل إلى سوريا عبر منطقة البقاع وهناك كانت بداية صداقته مع فوزي عراجي حيث بات عنده ليال معدودة، إنتقل بعدها إلى سوريا حيث ضاف عند الرئيس الأسد أو عائلته (قبل أن يصبح المرحوم حافظ الأسد رئيساً لسوريا)، وقد حفظ الرئيس فرنجيـه هـذا الـود لفوزي عراجي، وبعد أن أصبح رئيساً للجمهورية كان فوزي عراجي يزوره دائماً في قصـر بعبدا وفي زغرتا وفي إهدن صيفاً وكان يخدمه ويلبي طلباته، واستمرت العلاقات طيبة، وقـد أوصى المرحوم فوزي عراجي بفرس قبل وفاته للرئيس فرنجيه أرسلت له إلى قصـره فـي إهدن، وفي أعقابها أرسل الرئيس فرنجيه بدعوة على الغداء لعمومتي محمود ورفعت و"العم" أبو فايز محمد وكنت في عداد هذا الوفد وتناولنا الغداء إلى مائدته في إهدن وكـان مسـروراً جداً بهذا اللقاء وكان يردد في مجالسه ومن وقت لآخر ويذكّر بوفاء المرحوم فوزي عراجي.

كما كانت له علاقاته الطّيّبة مع الرئيس رشيد كرامي وتعددت الزيارات بيـنهم فـي بيروت وطرابلس وكان الرئيس كرامي لا يرفض له طلباً أو خدمة لبرالياس طوال فترة حكم الرئيس كرامي حتى تعدّت هذه الخدمات إلى خدمات خاصة ومنها مشروع الريّ الذي مدّتـه وزارة الموارد المائية في عهد إحدى حكومات الرئيس كرامي من منطقة نهر الغزيّـل إلـى منطقة السرحون بمسافة ستة كيلومترات تقريباً إلى بساتين المرحوم فوزي في حينه، وذلك في أعقاب جفاف نهر الفاعور الذي كان يروي هذه المنطقة.

كما كانت له علاقات طّيّبة مع سائر رؤساء الحكومة الآخرين والوزراء ومع رئـيس مجلس النواب صبري حماده وكانت علاقاته طيبة معه وكان يزوره في برالياس أكثـر مـن مرة، وكذلك كانت له علاقاته الطيبة مع القادة العسكريين اللبنانيين في الجيش والأمن الداخلي وخاصة تلك العلاقات المميزة مع محمود البنا مدير عام قوى الأمن الداخلي ورئـيس هيئـة الأركان العقيد حروج وأخوه الدكتور فارس دحروج وغيرهم كثير وقد استفاد المرحوم فوزي من هذه العلاقات فأدخل من أهله وأقاربه الكثير من الشبان في الوظائف العسكرية في الجيش والدرك والأمن العام وكذلك العديد من الموظفين المدنيين في سائر إدارات وقطاعات الدولـة بما يزيد على المئة وظيفة وظل يخدم أهله حتى الرمق الأخير من حياته.

حاول المرحوم فوزي عراجي الولوج إلى باب النيابة، ومن البديهي القول أنـه لمـن يسمع ويقرأ هذه السطور أن يتساءل لماذا لم يكن فوزي عراجي نائباً في البرلمان في يوم من الأيام، طالما أنه له هذه الصداقات وهذه المعارف، وبكل تجرد أقـول أن المرحـوم فـوزي عراجي كان كريماً وبمفهوم الكرم والذين يعرفونه جيداً أن الكريم يكون دائماً كسّاباً وهّاباً أي

أنه من الصعب جداً أن ترى إنساناً كريماً مبسوط اليد ثم تجده في نفس الوقت مـن أصـحاب الأموال، وهكذا كان فوزي عراجي كما هو المثل القائل: "إصرف ما في الجيب يأتيك ما فـي الغيب"، وكلنا نعلم أن السياسة والسياسيون في لبنان وساسة الأمور، درجوا على أن يكونـوا من أصحاب الأموال دائماً ولم يكونوا من أصحاب الوجاهة والكرم وأهـل الخلـق أو حتـى المتعلمين والمثقفين، ولا تزال هذه القاعدة سارية حتى وقتنا هذا.

وكم من نائب أو وزير ليس وراءه عائلة وقد أوصلته فلوسه إلى هذا المنصب حتـى أصبح شعار السياسة عندنا هو المال (نستثني بـذلك وبحـق الزعمـاء الـوطنيين وبعـض الأحزاب)، وكم من تاجر مخدرات ومهرّب كبير أوصلته صناعته المرموقة والرائجة إلى قبة البرلمان، وكم من زعامات تقليدية معروفة وعشائرية كبيرة وضعت في الزاوية عندما قلّـت فلوسها أو تبخّرت لكثرة خدمة الناس وعدم اللجوء إلى دروب الحرام. ولهذا تقـدّم أصـحاب المال وتراجع أصحاب الكرامات والمبادئ، إلا أن فوزي عراجي تراجع إلى ديوانه المفتـوح وداره العامرة بالكرم وحسن الخلق واستمر على نهجه القديم، فحقق ما لـم يحققـه نائـب أو وزير، وكم من نائب (وأنا أعرف بعضهم) كانوا يطلبون الخـدمات مـن فـوزي عراجـي والمساعدة في شأن أو آخر. وخير دليل على ذلك نواب الأمس ونواب اليوم، فماذا استطاعوا أن يفعلوا وماذا فعلوا حقاً؟ وهل وصلوا بنيابتهم إلى جزء مما وصل إليه فوزي عراجي بدون نيابة! إلا أنني وللتاريخ أشهد أنه رحمه ا كان يكافح بكل جهده في السنوات العشر الأخيـرة للوصول إلى قبة البرلمان وعلى نفس مبادئه ونهجه وأنه كان ليتمّ له ذلك لولا الأحداث الأليمة التي ألّمت بلبنان، والتي قضى فيها بالعام 1982 وقبل أن يبصر لبنان عهد السلام.

أما ما هو دور المرحوم فوزي عراجي إبان الأحداث؟؟! فهذا دور آخر نقول فيه: آمن فوزي عراجي بالسلم الأهلي في لبنان وراهن على الشرعية والدولـة وتشـبث بـالعيش المشترك كوسيلة وحيدة لإنقاذ لبنان وعودته إلى سابق عهـده مـوطن الـديانات والحريـات والتعايش المستمر وعلى هذا الأساس رفض الدخول في الأحزاب والتنظيمات الفئويـة، كمـا رفض رفضاً باتاً شكل الميليشيات ولم يتعاطى معها لا من قريب ولا من بعيد ولا فكّـر فـي التعاون معها يوماً من الإيام على أساس أنه لا بد من وجود شرعية ودولة تحمـي المـواطن وتصون القانون والنظام وبذلك يسلم الكيان.

وهكذا كان دأبه الوحيد أن يجمع ولا يفرّق وأن يساعد في إخماد الطائفية وعلى الأقل في محيطه وبلدته، ومن هنا كان ديوانه ومنزوله مفتوحاً خلال فترة الأحداث لخدمة النـاس،

والمحافظة على سلامتهم، يعاونه في ذلك شباب من أهله متطوعون لعمل الخير وحماية الناس وحرياتهم. فكانوا يأتونه بكل عابر سبيل من هنا وهناك لا ذنب له إلا أنه يحمل هوية معينـة إضطرته الظروف أن يخرج من بيته لأمر ما، فيقع في يد هذه الفئة أو تلك، فكان يـؤتى بـه إلى منزل فوزي عراجي فيؤمنه (والأمان من ا) ويكرّمه ثم يعمل جاهداً لإيصاله إلى أهلـه سالماً، وكم كانت هذه الحالات كثيرة وكثيرة جداً، حتى أن هناك رجال سياسـيون أو أبنـاء سياسيين وقعوا في أيد متطرفة كانت دخيلة على برالياس، فكان يسارع إلى سحبهم مـن أيـد هؤلاء ليبلغهم مخادعهم بآمان.

وهنا أذكر وقوع أبن رئيس الحزب السوري القومي الإجتماعي من آل سعاده في يـد أناس متطرفين لدى عودته من الشام مروراً ببرالياس، فاقتادوه إلى مكان مجهول في أطراف البلدة بمحاذاة نهر الغزيّل لتصفيته (رغم أن الحزب القومي كان يعمل مع الصف الـوطني)، وقد علم فوزي عراجي بالأمر، فأوفد شلة من الشباب في أثره فوراً انتزعته منهم وعادت بـه إلى منزله، فكرّمه وهدّأ من روعه وواكبه إلى ما بعد منطقة شتورا.

كما أنه قاتل وناضل للحفاظ على العيش المشترك في قلب برالياس، ومن هنا كانـت حمايته لأهالي البلدة المسيحيين، ولم يسمح لأحد أن يتعرّض لهم بأذى طيلة فترة الأحداث، مع العلم أنه كانت تتعالى يومياً الأصوات المتطرفة وخاصة في أعقاب ذبح المسلمين في حـوش الأمراء في زحلة على يد متطرفين مسيحيين (عائلة سمير الأيوبي) ومطالبة هذه الأصـوات بطرد المسيحيين من برالياس واحتلال بيوتهم، ولم يسمح مطلقاً بحدوث هذا الأمر وأكثر مـن ذلك، والتاريخ يشهد أنه وقع خصام كبير بينه وبين الملازم أول أحمد الخطيب قائد جيش لبنان العربي (الجيش اللبناني الذي انشق عن الجيش الشرعي وراح يعمل بشكل طـائفي فئـوي)، الذي جاء بملالاته وآلياته وجنده في خضم الأحداث ليدخل بيوت المسيحيين، بيتاً بيتاً بحجـة التفتيش عن الأسلحة واتهام المسيحيين بالتعامل مع أهالي وميليشيات زحلـة، فتصـدى لـه المرحوم فوزي عراجي بكل شجاعة وأوقفه عن التقدم، في نصف ساحة برالياس الرئيسـية، مستنفراً أكثر من مئة شاب من العائلة حوله، وبعد إتصالات عاجلة أجراها مع السـيد ياسـر عرفات في بيروت ،وكانت تربطه علاقة جيدة به ويلتقي به دائماً كلما مرّ هذا الأخير علـى برالياس، وكان لديه مكتب أمني كبير في برالياس بقيادة "أبو الوليد" وهكذا كان وقال لأحمـد الخطيب بالحرف: "أنت إبن شحيم وأنا إبن برالياس وأنت تعلم أنني فوزي عراجـي (وكـان يشير إليه بعكاز يحمله دائماً في يده) ولن أسمح لك بهذا الأمر ولو على جثتـي، وإن فعلـت سأقلبها كارثة على رأسك". فانسحب جيش أحمد الخطيب ثم عهد إلى شباب العائلة المسـلحين

فتوزعوا على بيوت المسيحيين ينامون عندهم ليال معدودة ويشهد ا   أنني كنت وأخي الكبير محمد في عداد هؤلاء الشباب ونمت ليلتين مع عائلة أحد إخواننا المسيحيين.

ومن هذا الأمر كذلك وبعد سقوط وتداعي الأجهزة الأمنية في زحلة والبقاع وريـاق وأبلح وهرب هؤلاء المسؤولين في شتى الإتجاهات، ألقت منظمة فتح القبض على قائد سـرية درك زحلة العقيد جورج أسمر في ضهور ترشيش متخفٍ بثياب مدنية محاولاً العبـور إلـى الجبل، واقتادته إلى مركز الأمن في برالياس، فذهب فوزي عراجي لتوه إلى ياسر عرافـات وكان حظه كبيراً فصادف وجود ياسر عرفات في برالياس فطلبه منه، وقال له بالحرف: "إنه صديقي، أعطني إياه، أنقله إلى منزلي، وإن كان لا بد من تحقيق معه أو أية إجراءات أمنيـة أخرى فليتمّ هذا التحقيق وهذه الإجراءات فأنا لا أمانع في ذلك في بيتي". وهكذا أصدر ياسـر عرفات أمراً بتسليمه إلى فوزي عراجي حيث مكث هذا الأخير عشرة أيام متتالية في منـزل فوزي عراجي ولم يسأله أحد سؤالاً واحداً، وبعد ذلك إستأذن له فوزي عراجي بالرحيل مـن قيادة الأمن وكنت شاهداً ومشاركاً في نقله في ليلة من الليالي، بعد أن تمّ إلباسه ثيابـاً بدويـة وكوفية وتمّ نقله وتسليمه إلى الجيش في مناطقه المتقدمة على الجهة الأخرى.

وهنا لا بد أن أشير إلى أن هذا الأمر وصنيعة هذا المعروف الكبير كان يتحمّل فوزي عراجي مسؤولياته الكبيرة في تلك الظروف وكانت تصل أخباره أولاً بأول إلى كافة الجهـات المؤمنة بالسلام والعيش المشترك، وكانوا يثنون على هذه المواقف النبيلة، وأخـص بالـذكر مؤتمراً كبيراً حصل في فندق قادري الكبير في زحلة لبعض المؤسسات والشـبيبة المسـيحية حيث أعلنوا فيه من جملة مقرراتهم شكرهم وامتنانهم لم تبذله عائلة آل عراجي وعلى رأسهم فوزي عراجي في مجال هذا التعايش الأخوي.

وقد حفظت زحلة هذا الودّ فعندما توفي فوزي عراجي في مستشفى تل شـيحا عـام 1982 حملته سيارة الأسعاف (وكنت إلى جانب جثمانه) وعلى ظهرها مكبرات الصوت تقرأ القرآن الكريم وأصر أبو سمير الفرن على أن تجوب السيارة شوارع وأحياء زحلة الداخليـة وهو يركب إلى جانبي في نفس السيارة، وخرج الناس على الشرفات يحيون الجثمـان، كمـا كتبت صحف ومجلات زحلة المحلية في يوم تشييعه مقالات كثيرة أشادت بمناقبيته ووطنيتـه ولا زلت أحتفظ بهذه المجلات في مكتبتي.

أما عن علاقاته بالثورة الفلسطينية وقيادتها، فقد كانت جيدة ومميزه وذلك من إيمانـه الكبير ومن إيماننا جميعاً بعدالة هذه القضية وحقوق إخوتنـا الفلسـطنيين بتقريـر المصـير وعودتهم إلى ديارهم وموطنهم وحصولهم على كافة حقوقهم المشروعة ومن هنا كان التعاون كبيراً ووثيقاً، حيث لقي الفلسطينيون في برالياس (المقيم منهم سابقاً والمناضل الشريف) كـل ترحاب وكل مساعدة على جميع الأصعدة، وكانت تربط المرحوم فـوزي عراجـي أطيـب العلاقات مع القادة الفلسطنيين وحتى مع أبو عمّار نفسه وكان يتبادل معه الزيارات وقـد زار ياسر عرفات منزل فوزي عراجي أكثر من مرة وله عدة صور في هذه المناسبات، وقد قدّم فوزي عراجي له قطعة أرض من أملاك بلدية برالياس، فأقيم عليها مستشفى الهلال الأحمـر الفلسطيني في خضم الأحداث وحتى أن البناء لهذا المستشفى ‘قدّم كـذلك بواسـطة فـوزي عراجي وعبر صديق له هو السيد سهيل خوري صاحب شركة "ألبا" للشرق الأوسط وكان لها معمل في تعنايل لصنع الأبنية الجاهزة، فقدم المستشفى هبـة للثـورة الفلسـطينية وللشـعب اللبناني، وقد قدم هذا المستشفى في كل فترة الأحداث وحتى اليوم أفضل الخدمات الطبية دون مقابل وكان يعمل 24 ساعة على 24 وقد طوّر وحدّثت تجهيزاته ولا يزال يعمل لخدمة الناس حتى اليوم. وكان ياسر عرفات يذكر هذا الجميل لفوزي عراجي وقد حضـر يـوم تشـييعه شخصياً كما أنه نعاه شهيداً بإسم فتح والثورة الفلسطينية ووزعت صوره مـع هـذا النعـي، وألصقت على معظم الجدران.

حتى أن تشييعه رحمه ا كان مميزاً ورغم وجود الأحداث الأليمة وكان ذلك بتـاريخ 1982 وقبيل الإجتياح الإسرائيلي بقليل، كانت جنازته مهيبة حضرها وفود وهيئـات شـعبية ورسمية من مختلف أنحاء لبنان وسوريا، كما مثل رئيس الجمهورية في حينه الرئيس اليـاس سركيس السيد محافظ البقاع هنري لحود، وقلّده على النعش وبإسم رئيس الجمهوريـة وسـام الوشاح اللبناني الأكبر وألقى كلمة تأبينية في الجنازة، وكان هنري لحود مـن أهـم أصـدقاء فوزي عراجي وكان يتعاون معه إلى أقصى الحدود حتى جعل منه رئيس بلدية (بصورة غير رسمية) لعشر سنوات متتالية حتى وفاته.

وهكذا طوى فوزي عراجي صفحة جديدة من صفحات المجد أضيف إلى سجل هـذه العائلة الكريمة ووصل أمجاد الحاضر بالماضي البعيد، فتواصلت سلسلة مشرّفة وراية بيضاء في تاريخ هذه العائلة على أمل أن يتولى هذه الراية، خلف صالح يعمل على إحياء هذا التراث والحفاظ عليه بالخلق الطيب، والدين القويم، والنهج الصحيح، وأن يكون خيـر خلـف لخيـر سلف.

هذا وبينما كنت أختم كتابي دفع إليّ أحد الأصدقاء قصيدة قالها الشاعر المعروف علي أسعد حليحل في ذكرى وفاة الشاب المرحوم قاسم فايز عراجي وقد نشرت في مجلة الشـراع اللبنانية-العدد 890 تاريخ 12 تموز 1999.

والمرحوم قاسم هو ابن فايز محمد قاسم عراجي المسمّى على إسم جده الكبير قاسـم ولد بتاريخ 5 نيسان 1947 وتوفي بتاريخ 28 آب 1991 عن عمر يناهز الرابعة والأربعـين عاماً. وكان المرحوم قاسم على رأس المتقدمين في التنظيم العربي الناصـري "المرابطـون" الذي يتزعمه السيد إبراهيم قليلات، وقد شهد قاسم معارك بيروت الكبـرى إبـان الإحـتلال الإسرائيلي لبيروت في العام 1982، وكان مع المحاصرين فيها ومن أبطال القومية العربيـة الذين استشهدوا دفاعاً عن كرامة وعروبة بيروت ولبنان، وقد عاجله الموت وهو في ريعانـه بعد مرض ألمّ به، مستسلماً لقضاء ا وقدره، وعسى أن يكون مأواه جنة الخلد.

والقصيدة بعنوان "يا قمر نيسان" يقول فيها الشاعر مذكراً بشباب قاسم وقلبه الحنـون وكفه المعطاء، ويرثيه بالدمع وحسرة البكاء، بكاء الصبا ونرجس ليـالي العمـر والريحـان، ومذكراً بتسميته على اسم جده الشيخ قاسم عراجي صاحب الكرم والضيافة، ذائـع الصـيت، والذي تغنّت به الركبان، ماراً على ذكر أبيه وأعمامه وخاصة الريّس الوجيه فوزي عراجـي منتهياً إلى التسليم لمشيئة ا تعالى.

سلامت عيونك يا قاسم تطبق الأجفان وتنام نومه طويلة وما توعيها
سلامت القامة الطويلة تلبس الأكفان وتترك لهيك العبا الكانت تعبيها
سلامت كفوف السخايا الكلها تحنان تفقد عطاها من الدنيا أهاليها
سلامت القلب الحنون الممتلي ايمان يوقف حنينو وحياتو ما يكفيها
يا قاسم الخير يا من كنت للإحسان تضحي بنفسك تنفس الغير ترضيها
يا طلّة السعد من بعدك سعد ما بان رحت ومعك الدني راحت غواليها
تبكيك عين الصبا ومدامع الشبان وايام هلي كنت مثل الشمس فيها
يبكيك نرجس ليالي العمر والريحان وديار ذبلت على غيابك اقاحيها
تبكيك غيد العذارى يا قمر نيسان وعيون بنت المها بأعلى روابيها
تبكي شبابك عيون مشايخ العربان وعيون هلي كنت من قبل تبكيها
سموك قاسم عا اسم المتل حاتم كان قاسم عراجي عتاق الخيل راعيها
بيّ الجدود اللي فيه تغنّت الركبان ويا رحمة ا عأولها وتانيها

وفايز أبوك الأصيل بجنة الرحمن روحو الكريمة لفت روحك تلاقيها
تستقبلك بالسلام وراحة الرضوان وفعالك البيض تشهد لك مواضيها
وفوزي الوجيه الرفيع اللي بحياتو كان وجه الرياسة بمراتبها ومعاليها
بيضل اسمو الرئيسي ترددو الأعيان وسيرة فعالو الحميده الناس تطريها
ورفعت بوتامر أمير الخيل والفرسان عوايد جدودو بقي حافظ مباديها
والخيل هلي تركها وساحة الميدان مكتوب يرحم بوتامر عانواحيها
شعلت بقلوبنا يا قاسم النيران وما عاد فينا ابد هالنار نطفيها
وهيدي يا قاسم مشئية ربنا الدّيان وهالكاس منو جميع الناس ساقيها

وأخيراً نسأل ا تعالى الهداية والرشاد والتوفيق والسداد إنه على كل ما يشاء قـدير وبالإجابة جدير وأنه لنعم المولى ونعم النصير.

وا من وراء القصد.

مؤلف وواضع هذا التراث

إبراهيم فواز عراجي

المراجـع:

- **الموسوعة التاريخية للمؤرخ عيسى اسكندر المعلوف.**
- **معلومات من المرحوم تركي قاسم عراجي.**
- **معلومات من المرحوم والدي فواز عراجي وكذلك منه (عن أمينة محمد عراجي).**
- **معلومات من المرحوم عمر محمد عمر عراجي.**
- **معلومات من السيد أبو طلال سعد الدين إبراهيم عراجي.**
- **مصادر أخرى.**